الشيخ ندا
أبو أحمد

الكتاب الجامع للفضائل

(٦٩)

متفرقات (ب)

فضل السماحة - فضل الصبر

فضل الصلة والتواصل - فضل الصمت

فضل العزم وعلو الهمة - فضل العِفَّة

الشيخ/ندا أبو أحمد



الكتاب الجامع للفضائل

متفرقات (ب)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

١- فضل السماحة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٢- فضل الصبر (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٣- فضل الصلة والتواصل (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٤- فضل الصمت (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٥- فضل العزم وعلو الهمة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٦- فضل العِفَّة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

١- فضل السماحة[١]

أولًا: فضل السماحة من القرآنِ الكريمِ:

١– قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

قال السَّعديُّ –رحمه الله–: " هذه الآيةُ جامعةٌ لحُسنِ الخُلُقِ مع النَّاسِ، وما ينبغي في معاملتِهم؛ فالذي ينبغي أن يُعامِلَ به النَّاسَ: أن يأخُذَ العَفوَ، أي: ما سمَحَت به أنفُسُهم، وما سَهُل عليهم من الأعمالِ والأخلاقِ... ويتجاوَزَ عن تقصيرِهم، ويَغُضَّ طَرْفَه عن نقصِهم ". (تيسير الكريم الرحمن ص: ٣١٣).

فمعنى قولِه: خُذِ الْعَفْوَ: أي: خُذْ ما أتى من النَّاسِ عَفوًا، لا تُكَلِّفْهم بما يَشُقُّ عليهم ويُستعصى من الأفعالِ، بل كُنْ سَمِحًا سهلًا. (التفسير الواضح لحجازي:١/ ٧٩٩).

٢– وقال سُبحانَه: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

قال ابنُ عاشورٍ –رحمه الله–: " ومعنى كونِ العَفوِ أقرَبَ للتَّقوى: أنَّ العفوَ أقرَبُ إلى صفةِ التَّقوى من التَّمسُّكِ بالحَقِّ؛ لأنَّ التَّمسُّكَ بالحقِّ لا ينافي التَّقوى، لكِنَّه يؤذِنُ بتصَلُّبِ صاحِبِه وشِدَّتِه، والعفوُ يُؤذِنُ بسماحةِ صاحِبِه ورحمتِه، والقَلبُ المطبوعُ على السَّماحةِ والرَّحمةِ أقرَبُ إلى التَّقوى من القَلبِ الصُّلبِ الشَّديدِ؛ لأنَّ التَّقوى تقرُبُ بمقدارِ قُوَّةِ الوازِعِ، والوازِعُ شَرعيٌّ وطبيعيٌّ، وفي القلبِ المفطورِ على الرَّأفةِ والسَّماحةِ لينٌ يَزَعُه عن المظالِمِ والقساوةِ، فتكونُ التَّقوى أقرَبَ إليه؛ لكثرةِ أسبابِها فيه ".

(التحرير والتنوير:٢/٤٦٥).

٣– ونفى اللهُ عن رسولِه الفظاظةَ، وغِلَظَ القلبِ، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

قال السَّعديُّ –رحمه الله–: " أي برحمةِ اللهِ لك ولأصحابِك مَنَّ اللهُ عليك أن ألَنْتَ لهم جانِبَك، وخفَضْتَ لهم جَناحَك، وترقَّقْتَ عليهم، وحَسَّنْتَ لهم خُلُقَك؛ فاجتمعوا عليك وأحبُّوك، وامتثلوا أمرَك. وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا، أي: سَيِّئَ الخُلُقِ غَلِيظَ الْقَلْبِ أي: قاسِيَه، ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ لأنَّ هذا يُنَفِّرُهم ويُبغِّضُهم لمن قام به هذا الخُلُقِ السَّيِّئ ". (تيسير الكريم الرحمن ص: ١٥٤).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

٤- وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " قولُه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إنَّه جاء بالتَّيسيرِ والسَّماحةِ ". (تفسير القرآن العظيم:٣/٤٨٨).

٥- وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

ففي هذه الآيةِ:" وجَّه اللهُ الدَّائنين إلى التَّيسيرِ على المدينينَ المُعسِرين، فعَلَّمهم اللهُ بذلك سماحةَ النَّفسِ، وحُسنَ التَّغاضي عن المُعسِرين ". (الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني:٢/٤٦٧).

ثانياً: فضل السماحة من السُّنَّة النَّبويَّة:

١- أخرج البخاري من حديث جابرِ بنِ عبدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عنهما-أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: " رَحِمَ اللهُ رجُلًا سَمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى ".

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-: " فيه الحضُّ على السَّماحةِ، وحُسنِ المعاملةِ، واستعمالِ معالي الأخلاقِ ومَكارِمِها، وتَركِ المشاحَّةِ في البيعِ، وذلك سببٌ إلى وجودِ البركةِ فيه؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لا يحُضُّ أمَّتَه إلَّا على ما فيه النَّفعُ لهم، في الدُّنيا والآخِرةِ ". (شرح صحيح البخاري لابنُ بطَّال:٦/٢١٠).

وقال المُناويُّ-رحمه الله-: " وقوله ﷺ:" رَحِمَ اللهُ عبدًا": دعاءٌ أو خبَرٌ، وقرينةُ الاستقبالِ المستفادِ من "إذا" تجعلُه دعاءً." سَمحًا" يعني: جوادًا أو متساهِلًا، غيرَ مُضايقٍ في الأمورِ، وهذا صفةٌ مُشبَّهةٌ تدُلُّ على الثُّبوتِ؛ ولذا كرَّر أحوالَ البيعِ والشِّراءِ والتَّقاضي،" سَمحًا إذا اقتضى"، أي: طلب قضاءَ حَقِّه، وهذا مسوقٌ للحَثِّ على المسامحةِ في المعاملةِ، وتركِ المشاحَحةِ والتَّضييقِ في الطَّلبِ، والتَّخلُّقِ بمكارِمِ الأخلاقِ. وقال القاضي: رتَّب الدُّعاءَ على ذلك؛ ليدُلَّ على أنَّ السُّهولةَ والتَّسامُحَ سبَبٌ لاستحقاقِ الدُّعاءِ، ويكونُ أهلًا للرَّحمةِ ". (فيض القدير:٢/٤٤١).

٢- وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: " ألا أخبِرُكم بمن يَحرُمُ على النَّارِ، أو بمن تحرُمُ عليه النَّارُ؟ على كُلِّ قريبٍ هيِّنٍ سَهلٍ ". (صحيح سنن الترمذي:٢٤٨٨)

قال علي القاريُّ-رحمه الله-: " أي: تحرُمُ على كلِّ سهلٍ طَلْقٍ حليمٍ، ليِّنِ الجانِبِ، ثمَّ قولُه:" هَيِّنٍ" فعيلٌ من الهَونِ، وهو السُّكونُ والوقارُ والسُّهولةُ،" قريبٍ" أي: من النَّاسِ بمجالستِهم في محافِلِ الطَّاعةِ، وملاطفتِهم قَدْرَ الاستطاعةِ." سَهلٍ" أي: في قضاءِ حوائِجِهم، أو معناه: أنَّه سَمحُ القضاءِ، سمحُ الاقتضاءِ، سمحُ البيعِ، سمحُ الشِّراءِ ". (مرقاة المفاتيح:٨/٣١٧٩).

٣- *وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي موسى الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* **" إنَّ اللهَ تعالى خلَق آدَمَ من قبضةٍ قبَضَها من جميعِ الأرضِ؛ فجاء بنو آدَمَ على قَدْرِ الأرضِ، جاء منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسوَدُ، وبَيْنَ ذلك، والسَّهلُ، والحَزْنُ، والخَبيثُ، والطَّيِّبُ، وبَينَ ذلك ".**

لمَّا كانت الأوصافُ الأربعةُ ظاهرةً في الإنسانِ والأرضِ، أُجريَت على حقيقتِها، وأُوِّلت الأربعةُ الأخيرةُ؛ لأنَّها من الأخلاقِ الباطنةِ؛ فإنَّ المعنيَّ بالسَّهلِ: الرِّفقُ واللِّينُ، وبالحَزْنِ: الخُرقُ والعُنفُ، وبالطَّيِّبِ الذي يعني به الأرضَ العَذْبةَ: المؤمِنُ الذي هو نفعٌ كُلُّه، وبالخَبيثِ الذي يرادُ به الأرضُ السَّبخةُ: الكافِرُ الذي هو ضُرٌّ كُلُّه، والذي سيق له الحديثُ هو الأمورُ الباطنةُ؛ لأنَّها داخلةٌ في حديثِ القَدَرِ بالخيرِ والشَّرِّ، وأمَّا الأمورُ الظَّاهرةُ من الألوانِ وإن كانت مُقَدَّرةً فلا اعتبارَ لها فيه ".

(الكاشف عن حقائق السنن للطيبي:٢/ ٥٦٤) (مرقاة المفاتيح للقاري (١/١٧٦).

قال الشَّاعِرُ:

النَّاسُ كالأرضِ ومنها هُمُ ... من خَشنِ الطَّبعِ ومِن لَيِّنِ
فحَجَرٌ تَـدمَى بـه أرجُلٌ ... وإثمِدٌ يُجعَلُ في الأَعْـيُنِ

(نفح الطيب للمقري:٤/ ٣٠٦) (التحرير والتنوير لابن عاشور:٢٦/ ١٩٣)

٤- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عن حُذيفةَ ﷺ قال:* **" أتى اللهُ بعبدٍ من عبادِه آتاه اللهُ مالًا، فقال له: ماذا عَمِلتَ في الدُّنيا؟- قال: ولا يكتُمون اللهَ حديثًا- قال: يا رَبِّ آتيتني مالَك، فكُنتُ أبايِعُ النَّاسَ، وكان من خُلُقي الجوازُ، فكنتُ أتيسَّرُ على الموسِرِ، وأُنظِرُ المُعسِرَ. فقال اللَّهُ: أنا أحَقُّ بذا منك؛ تجاوَزوا عن عبدي "، فقال عُقبةُ بنُ عامرٍ الجُهَنيُّ، وأبو مسعودٍ الأنصاريُّ: هكذا سَمِعْناه مِن في رسولِ اللهِ ﷺ ".**

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " والتَّجاوُزُ والتَّجوُّزُ معناهما المسامحةُ في الاقتضاءِ والاستيفاءِ، وقبولُ ما فيه نقصٌ يسيرٌ...، وفي هذه الأحاديثِ فَضلُ إنظارِ المُعسِرِ والوَضعِ عنه إمَّا كُلَّ الدَّينِ، وإمَّا بعضَه من كثيرٍ أو قليلٍ، وفضلُ المسامحةِ في الاقتضاءِ وفي الاستيفاءِ، سواءٌ استوفيَ من موسرٍ أو مُعسِرٍ، وفَضلُ الوضعِ من الدَّينِ، وأنَّه لا يحتَقَرُ شيءٌ من أفعالِ الخيرِ؛ فلعلَّه سببُ السَّعادةِ والرَّحمةِ ".

(شرح النووي على مسلم:١٠/٢٢٥).

٥- *أخرج عبد الله بن أحمد والطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث ابنِ عبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* **" اسمَحْ يُسمَحْ لك ".**

(صحيح الجامع:٩٨٢) (وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:٢٢٣٣).

قال الصَّنعانيُّ-رحمه الله-: " والمعنى: أنَّ تسهيلَك للعبادِ سببُ تسهيلِ اللهِ لك، ويُلينُ لك قُلوبَ العبادِ، فيَسمَحوا لك ". **(التنوير:٢/٣٧١).**

ثالثًا: فضل السماحة من أقوال السَّلَفِ والعلَماءِ:

١- ***خطب خالدٌ القَسريُّ في النَّاسِ، فقال:*** " عليكم باصطناعِ المعروفِ؛ فإنَّ فاعِلَه لا يعدَمُ جوازيَه، ومهما ضَعُفَ النَّاسُ عن أدائِه قوَّى اللهُ على جزائِه، ولا يَعدَمُ أحدٌ معروفًا كان منه لم يبذُلْه سمحًا سهلًا؛ فإنَّكم واللهِ لو رأيتُم المعروفَ لرأيتموه حَسَنًا جميلًا، ولو رأيتُم البُخلَ لرأيتُموه وَحشًا قبيحًا، أعاذني اللهُ وإيَّاكم من البُخلِ والجُبنِ، وحِرمانِ المعروفِ وكُفرانِ النِّعمةِ، الموجبةِ لحُلولِ النِّقمةِ ".

(جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري:٢/٣٨٣).

٢- ***وقال الحكيمُ التِّرمِذيُّ في ذكرِ صفاتِ المتَّقين؛ ومنها السَّماحةُ:*** " فهؤلاء طبقةٌ آمَنوا به حقًّا، فاطمأنَّت قلوبُهم بأحكامِه عليهم من المحبوبِ والمكروهِ، رضُوا به رَبًّا، ورضوا بأحكامِه عليهم حَكَمًا، وذلُّوا لربوبيَّتِه خُشَّعًا، وآثَروه على أنفُسِهم حياءً، وبذلوا له نفوسَهم جودًا وسَمحًا ".

(الأمثال من الكتاب والسنة ص: ٢٢٥).

٣- ***وقال ابنُ تيميَّةَ-رحمه الله-:*** " وأمَّا السَّماحةُ والصَّبرُ فخُلُقانِ في النَّفسِ؛ قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١٧)، فيه سماحةٌ بالرَّحمةِ للإنسانِ، وصبرٌ على المكارِه، وهذا ضِدُّ الذي خُلِقَ هَلوعًا، إذا مسَّه الشَّرُّ جَزوعًا، وإذا مسَّه الخيرُ منوعًا؛ فإنَّ ذاك ليس فيه سماحةٌ عندَ النِّعمةِ، ولا صبرٌ عندَ المُصيبةِ ". **(مجموع الفتاوى:٧/٢٦٤).**

٤- ***وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-:*** " النَّفسُ يرادُ منها شيئانِ: بذلُ ما أُمِرَت به وإعطاؤه، فالحامِلُ عليه السَّماحةُ، وترَكُ ما نُهِيَت عنه والبعدُ منه، فالحامِلُ عليه الصَّبرُ ". **(مدارج السالكين:٢/١٦٠).**

٥- ***وقال عبدُ الرَّحمنِ السَّعديُّ-رحمه الله-:*** " جُبِلت النُّفوسُ على الشُّحِّ، وهو عَدَمُ الرَّغبةِ في بَذلِ ما على الإنسانِ، والحِرصُ على الحَقِّ الذي له؛ فالنُّفوسُ مجبولةٌ على ذلك طبعًا، فينبغي لكم أن تحرِصوا على قَلعِ هذا الخُلُقِ الدَّنيءِ من نفوسِكم، وتستبدلوا به ضِدَّه، وهو السَّماحةُ، وهو بذلُ الحقِّ الذي عليك، والاقتناعُ ببعضِ الحقِّ الذي لك، فمتى وُفِّق الإنسانُ لهذا الخُلُقِ الحسَنِ سَهُلَ حينئذٍ عليه الصُّلحُ بينَه وبينَ خَصمِه ومُعامِلِه، وتسهَّلت الطَّريقُ للوصولِ إلى المطلوبِ، بخلافِ مَن لم يجتَهِدْ في إزالةِ الشُّحِّ من نفسِه؛ فإنَّه يَعسُرُ عليه الصُّلحُ والموافقةُ؛ لأنَّه لا يرضيه إلَّا جميعُ مالِه، ولا يرضى أن يؤدِّيَ ما عليه، فإن كان خَصمُه مثلَه اشتَدَّ الأمرُ". **(تيسير الكريم الرحمن ص: ٢٠٦).**

٦- ***وقال محمَّدٌ الغزاليُّ-رحمه الله-:*** " قاعدةُ الإسلامِ الأُولى: السَّماحةُ والتَّيسيرُ ". **(ليس من الإسلام ص: ٢٧)**

٧- **وقال عبدُ الرَّحمنِ الميدانيُّ-رحمه الله-:** " النَّفسُ السَّمحةُ كالأرضِ الطَّيِّبةِ الهيِّنةِ المستويةِ؛ فهي لكُلِّ ما يرادُ منها من خيرٍ صالحةٌ، إن أرَدْتَ عبورَها هانت، وإن أردتَ حَرْثَها وزراعتَها لانت، وإن أرَدْتَ البناءَ فيها سَهُلَت، وإن شِئتَ النَّومَ عليها تمهَّدَت ". **(الأخلاق الإسلامية:٢/٤٦٢).**

ومن فضل فوائدُ السَّماحةِ كذلك:

١- يستطيعُ سَمحُ النَّفسِ الهَيِّنُ اللَّيِّنُ أن يغنَمَ في حياتِه أكبَرَ قِسطٍ من السَّعادةِ وهناءةِ العَيشِ؛ لأنَّه بخُلُقِه هذا يتكيَّفُ مع الأوضاعِ الطَّبيعيَّةِ والاجتماعيَّةِ بسُرعةٍ، مهما كانت غيرَ ملائمةٍ لما يحِبُّ.

٢- ويستطيعُ أن يستقبِلَ المقاديرَ بالرِّضا والتَّسليمِ، مهما كانت مكروهةً للنُّفوسِ.

٣- ويستطيعُ سَمحُ النَّفسِ الهَيِّنُ اللَّيِّنُ أن يظفَرَ بأكبَرِ قِسطٍ من محبَّةِ النَّاسِ له، وثِقةِ النَّاسِ به؛ لأنَّه يعامِلُهم بالسَّماحةِ والبِشرِ ولِينِ الجانبِ، والتَّغاضي عن السَّيِّئاتِ والنَّقائصِ، فإذا دعاه الواجِبُ إلى تقديمِ النُّصحِ كان في نُصحِه رفيقًا لَيِّنًا، سَمحًا هَيِّنًا، يُسِرُّ بالنَّصيحةِ، ولا يريدُ الفضيحةَ، يَسُدُّ الثَّغَراتِ، ولا يَنشُرُ الزَّلَّاتِ والعَثَراتِ.

٤- ويعامِلُ النَّاسَ أيضًا بالسَّماحةِ في الأمورِ الماديَّةِ؛ فإذا باع كان سَمحًا، وإذا اشترى كان سَمحًا، وإذا أخَذَ كان سَمحًا، وإذا أعطى كان سَمحًا، وإذا قضى ما عليه كان سَمحًا، وإذا اقتضى ما له كان سَمحًا.

٥- ويجلِبُ سَمحُ النَّفسِ الهَيِّنُ اللَّيِّنُ لنَفسِه الخَيرَ الدُّنيويَّ بتسامحِه؛ وذلك لأنَّ النَّاسَ يحبُّون المتسامِحَ الهَيِّنَ اللَّيِّنَ، فيَميلون إلى التَّعامُلِ معه، فيكثُرُ عليه الخيرُ بكثرةِ محبِّيه والواثِقين به.

٦- ويجلِبُ سَمحُ النَّفسِ الهَيِّنُ اللَّيِّنُ لنفسِه رِضا اللهِ تعالى والخيرَ الأُخرويَّ العظيمَ، ما ابتغى بسماحتِه رضوانَ اللهِ عزَّ وجَلَّ. **(الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني:٢/٤٤٣).**

وقد تكونُ سماحةُ العبدِ سَببًا لسماحةِ اللهِ له ومغفرتِه له ذنوبَه، وفوزِه بأعظَمِ خيرِ الدَّارَينِ.

(التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني:٢/ ٣٧١).

٧- السَّماحةُ سَبَبٌ في تيسيرِ الأمورِ وتسهيلِ المعامَلاتِ بَينَ النَّاسِ.

٨- بالسَّماحةِ تسودُ الثِّقةُ والأُلفةُ والمحبَّةُ بَينَ النَّاسِ.

٩- السَّماحةُ تُذهِبُ الأخلاقَ السَّيِّئةَ كالأثَرةِ والأنانيَّةِ والشُّحِّ.

٢- فضل الصبر[١][٢]:

أولًا: فضل الصبر مِنَ القُرآنِ الكريم:

الصَّبرُ مِن أكثَرِ الأخلاقِ التي اعتَنى بها دينُ الإسلامِ؛ لذا تكَرَّرَ ذِكرُه في القُرآنِ في مَواضِعَ كثيرةٍ.

قال أبو عبدِ اللهِ أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ -رحمه الله-: " ذَكَر اللهُ سُبحانَه الصَّبرَ في القُرآنِ في تِسعينَ مَوضِعًا ".

(عدة الصابرين لابن القيم ص: ١١٣)

وقد سيقَ الصَّبرُ في القُرآنِ في عِدَّةِ أنواعٍ:

أحدُها: الأمرُ به، كقَولِه تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (النحل: ١٢٧)

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (الطور: ٤٨).

الثَّاني: النَّهيُ عَمَّا يُضادُّه، كقَولِه تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (الأحقاف: ٣٥)

وقَولِه تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ (القلم: ٤٨).

الثَّالثُ: تَعليقُ الفلاحِ به، كقَولِه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

فعَلَّقَ الفلاحَ بمَجموعِ هذه الأُمورِ. (آل عمران: ٢٠٠)

الرَّابعُ: الإخبارُ عن مُضاعَفةِ أجرِ الصَّابرينَ على غَيرِه، كقَولِه تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (القصص: ٥٤)

وقَولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

الخامِسُ: تَعليقُ الإمامةِ في الدِّينِ به وباليقينِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

السَّادِسُ: ظَفَرُهم بمَعيَّةِ اللهِ سُبحانَه لهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).

السَّابعُ: أنَّه جَمَعَ للصَّابرينَ ثَلاثةَ أُمورٍ لم يجمَعها لغَيرِهم، وهي الصَّلاةُ منه عليهم، ورَحمَتُه لهم، وهدايتُه إيَّاهم؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.
٢- توجد رسالة خاصة عن" فضل الصبر" للمؤلف ضمن هذه السلسلة، والله الموفق.

الثَّامِنُ: أنَّه سُبحانَه جَعَل الصَّبرَ عَونًا وعُدَّةً، وأمر بالاستِعانةِ به، فقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥) فمَن لا صَبرَ له لا عَونَ له.

التَّاسِعُ: أنَّه سُبحانَه عَلَّقَ النَّصرَ بالصَّبرِ والتَّقوى، فقال تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥).

العاشِرُ: أنَّه سُبحانَه جَعَل الصَّبرَ والتَّقوى جُنَّةً عَظيمةً مِن كيدِ العَدوِّ ومَكرِه، فمَا استَجَنَّ العَبدُ مِن ذلك جَنَّةً أعظَمَ مِنهما؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

الحاديَ عَشَرَ: أنَّه سُبحانَه أخبَرَ أنَّ مَلائِكتَه تُسَلِّمُ عليهم في الجَنَّةِ بصَبرِهم، كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٣، ٢٤).

الثاني عَشَر: أنَّه سُبحانَه أباحَ لهم أن يُعاقِبوا على ما عُوقِبوا به، ثُمَّ أقسَمَ قَسمًا مُؤَكَّدًا غايةَ التَّأكيدِ أنَّ صَبرَهم خَيرٌ لهم فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦).

الثَّالثَ عَشَرَ: أنَّه سُبحانَه رَتَّب المَغفِرةَ والأجرَ الكَبيرَ على الصَّبرِ والعَمَلِ الصَّالحِ، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود:١١)

الرَّابعَ عَشَرَ: أنَّه سُبحانَه جَعَل الصَّبرَ على المَصائِب مِن عَزمِ الأُمورِ، أي: مِمَّا يُعزَمُ مِنَ الأُمورِ التي إنَّما يُعزَمُ على أجَلِّها وأشرَفِها، فقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣)

وقال لُقمانُ لابنِه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

الخامِسَ عَشَرَ: أنَّه سُبحانَه وعَدَ المُؤمِنينَ بالنَّصرِ والظَّفَرِ، وأخبَرَ أنَّه إنَّما أنالهم ذلك بالصَّبرِ، فقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (الأعراف: ١٣٧).

السَّادِسَ عَشَرَ: أنَّه سُبحانَه عَلَّقَ مَحَبَّتَه بالصَّبرِ وجَعلَها لأهلِه فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)

السَّابعَ عَشَرَ: أنَّه سُبحانَه أخبَرَ عن خِصالِ الخَيرِ أنَّه لا يُلَقَّاها إلَّا الصَّابرونَ، في مَوضِعَينِ مِن كتابِه؛ في سورةِ القَصَصِ في قِصَّةِ قارونَ، وأنَّ الذين أوتوا العِلمَ قالوا للذين تَمَنَّوا مِثلَ ما أُوتي: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: ٨٠)

وفي سورةِ حم السَّجدةِ؛ حَيثُ أمَرَ العَبدَ أن يدفعَ بالتي هي أحسَنُ، فإذا فعَل ذلك صارَ الذى بَينَه وبَينَه عَداوةٌ كأنَّه حَبيبٌ قَريبٌ، ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥).

الثَّامِنَ عَشَرَ: أنَّه سُبحانَه أخبَرَ أنَّه إنَّما ينتَفِعُ بآياتِه ويتَّعِظُ بها الصَّبَّارُ الشَّكورُ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

وقال تعالى في لُقمانَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (لقمان: ٣١)

وقال في قِصَّةِ سَبَأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (سبأ: ١٩)

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (الشورى: ٣٢،٣٣)، فهذه أربعةُ مَواضِعَ في القُرآنِ تَدُلُّ على أنَّ آياتِ الرَّبِّ إنما ينتَفِعُ بها أهلُ الصَّبرِ والشُّكرِ.

التَّاسِعَ عَشَرَ: أنَّه أثنى على عَبدِه أيُّوبَ بأحسَنِ الثَّناءِ على صَبرِه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص: ٤٤) فأطلَقَ عليه نِعْمَ الْعَبْدُ بكونِه وجدَه صابرًا، وهذا يدُلُّ على أنَّ مَن لم يصبِرْ إذا ابتُلي فإنَّه بئسَ العَبدُ.

العِشرونَ: أنَّه سُبحانَه حَكمَ بالخُسرانِ حُكمًا عامًّا على كُلِّ مَن لم يُؤمِنْ ولم يكُنْ مِن أهلِ الحَقِّ والصَّبرِ، وهذا يدُلُّ على أنَّه لا رابحَ سِواهم، فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١-٣)، وذلك أنَّ العَبدَ كمالُه في تكميلِ قوَّتَيه: قوَّةِ العِلمِ وقوَّةِ العَمَلِ، وهما الإيمانُ والعَمَلُ الصَّالحُ، وكما هو مُحتاجٌ إلى تَكميلِ نَفسِه فهو مُحتاجٌ إلى تَكميلِ غَيرِه، وهو التَّواصي بالحَقِّ والتَّواصي بالصَّبرِ، وأخيَّةُ ذلك وقاعِدتُه وساقُه الذى يقومُ عليه إنَّما هو الصَّبرُ.

الحادي والعِشرونَ: أنَّه سُبحانَه خَصَّ أهلَ المَيمَنةِ بأنَّهم أهلُ الصَّبرِ والمَرحَمةِ الذين قامَت بهم هاتانِ الخَصلتانِ، ووصَّوا بهما غَيرَهم، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (البلد: ١٧،١٨)، وهذا حَصرٌ لأصحابِ المَيمنةِ فيمَن قامَ به هذانِ الوصفانِ.

الثاني والعِشرونَ: أنَّه سُبحانَه قَرَن الصَّبرَ بأركانِ الإسلامِ ومَقاماتِ الإيمانِ كُلِّها، فقَرَنه بالصَّلاةِ، كقَولِه تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥)

وقَرنه بالأعمالِ الصَّالحةِ عُمومًا، كقَولِه تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (هود: ١١)

وجَعَله قَرينَ التَّقوى، كقَولِه تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ (يوسف: ٩٠)

وجَعَله قَرينَ الشُّكرِ، كقَولِه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: ٥)

وجَعَله قَرينَ الحَقِّ، كقَولِه تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣)

وجَعَله قَرينَ الرَّحمةِ، كقَولِه تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١٧)

وجَعَله قَرينَ اليقينِ، كقَولِه تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤)

وجَعَله قَرينَ الصِّدقِ، كقَولِه تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥)

وجَعَله سَبَبُ مَحَبَّتِه ومَعيَّتِه ونَصرِه وعَونِه وحُسنِ جَزائِه، ويكفي بَعضُ ذلك شَرَفًا وفضلًا. واللهُ أعلمُ.

(عدة الصابرين لابن القيم ص: ١١٤).

ثانياً: فضل الصبر من السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

١- *أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ أنَّه قال:* " إنَّ ناسًا من الأنصارِ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ، فأعطاهم، ثمَّ سألوه فأعطاهم. حتَّى إذا نفِدَ ما عنده قال: ما يكُنْ عندي من خيرٍ فلن أدَّخِرَه عنكم. ومن يستعففْ يُعِفَّه اللهُ، ومن يستغْنِ يُغنِه اللهُ. ومن يصبرْ يُصبِّرْه اللهُ، وما أعطيَ أحدٌ من عطاءٍ خيرٍ وأوسعَ من الصَّبرِ ".

قَولُه ﷺ:" ومَن يتَصَبَّرْ": أي يطلُبْ تَوفيقَ الصَّبرِ مِنَ اللهِ؛ لأنَّه قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. (النحل: ١٢٧) أي: يأمُرْ نَفسَه بالصَّبرِ ويتَكَلَّفْ في التَّحَمُّلِ عن مَشاقِّه، وهو تَعميمٌ بَعدَ تَخصيصٍ؛ لأنَّ الصَّبرَ يشتَمِلُ على صَبرِ الطَّاعةِ والمَعصيةِ والبَليَّةِ، أو مَن يتَصَبَّرْ عنِ السُّؤالِ والتَّطَلُّعِ إلى ما في أيدي النَّاسِ بأن يتَجَرَّعَ مَرارةَ ذلك ولا يشكو حالَه لغَيرِ رَبِّه." يُصَبِّرْه اللهُ": بالتَّشديدِ أي: يُسَهِّلْ عليه الصَّبرَ، فتَكونُ الجُمَل مُؤَكِّداتٍ. ويُؤَيِّدُ إرادةَ مَعنى العُمومِ قَولُه:" وما أُعطِيَ أحَدٌ من عَطاءٍ": أي: مُعطًى أو شَيئًا،" أوسعَ": أي: أشرَحَ للصَّدرِ،" مِنَ الصَّبرِ"؛ وذلك لأنَّ مَقامَ الصَّبرِ أعلى المَقاماتِ؛ لأنَّه جامِعٌ لمَكارِمِ الصِّفاتِ والحالاتِ ". (عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي:٥/٥٩).

٢- وأخبَرَ النَّبيُّ ﷺ بأنَّ الصَّبرَ عِندَ الصَّدمةِ الأولى؛ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنَسٍ ﷺ قال:" مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بامرأةٍ تَبكي عِندَ قَبرٍ، فقال: اتَّقي اللهَ واصبري. قالت: إليكَ عنِّي؛ فإنَّك لم تُصَبْ بمُصيبَتي! ولم تَعرِفْه، فقيل لها: إنَّه النَّبيُّ ﷺ، فأتَت بابَ النَّبيِّ ﷺ فلم تَجِدْ عِندَه بَوَّابين، فقالت: لم أعرِفْك، فقال: إنَّما الصَّبرُ عِندَ الصَّدمةِ الأولى ".

قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-:" فإنَّ مُفاجَأةَ المُصيبةِ بَغتةً لها رَوعةٌ تُزَعزِعُ القَلبَ، وتُزعِجُه بصَدمِها، فإنْ صَبرَ الصَّدمةَ الأولى انكسَرَ حَدُّها، وضَعُفت قوَّتُها، فهانَ عليه استِدامةُ الصَّبرِ، وأيضًا فإنَّ المُصيبةَ تَرِدُ على القَلبِ وهو غَيرُ موطِّنٍ لها فتُزعِجُه، وهي الصَّدمةُ الأولى، وأمَّا إذا ورَدَت عليه بَعدَ ذلك تَوطَّنَ لها، وعَلِمَ أنَّه لا بُدَّ له مِنها، فيصيرُ صَبرُه شَبيهَ الاضطِرارِ، وهذه المَرأةُ لَمَّا عَلمَت أنَّ جَزَعَها لا يُجدي عليها شَيئًا جاءَت تَعتَذِرُ إلى النَّبيِّ، كأنَّها تَقولُ له: قد صَبَرتُ، فأخبَرَها أنَّ الصَّبرَ إنَّما هو عِندَ الصَّدمةِ الأولى". (عدة الصابرين ص: ١٢١).

٣- وأخرج البخاري ومسلم من حديث عن عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ قال:" قال لي ابن عَبَّاس: ألا أُريك امرأة من أهل الجَنَّة؟ قُلت: بَلى، قال: هذه المَرأةُ السَّوداءُ أتَت النَّبيَّ ﷺ، قالت: إنِّي أصرَعُ وإنِّي أتَكشِفُ، فادعُ الله لي. قال: إن شِئت صَبرَت؛ ولك الجَنَّةُ. وإن شِئت دَعَوت الله أن يُعافيك. قالت: أصبرُ. قالت: فإنِّي أتَكشِفُ فادعُ الله أن لا أتَكشِفُ، فدَعا لها ".

٤- وبَيَّن ﷺ أنَّ مَن صَبَرَ على فقدِ عَينَيه عَوَّضه اللهُ الجَنَّةَ؛ فقد أخرج البخاري من حديث أنَسٍ ﷺ قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:" إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قال: إذا ابتَلَيتُ عَبدي بحَبيبَتَيه فصَبَرَ، عَوَّضتُه مِنهما الجَنَّةَ، يُريدُ عَينَيه ".

قال ابنُ بَطَّالٍ-رحمه الله-:" في هذا الحَديثِ حُجَّةٌ في أنَّ الصَّبرَ على البَلاءِ ثَوابُه الجَنَّةُ، ونِعمةُ البَصَرِ على العَبدِ، وإن كانت مِن أجَلِّ نِعَمِ اللهِ تعالى فعَوضُ اللهِ عليها الجَنَّةَ أفضَلُ من نعمتِها في الدُّنيا؛ لنَفادِ مُدَّةِ الالتِذاذِ بالبَصَرِ في الدُّنيا، وبَقاءِ مُدَّةِ الالتِذاذِ به في الجَنَّةِ ". (شرح صحيح البخاري لابنُ بَطَّالٍ:٩/٣٧٧).

٥- وأخرج الإمام مسلم من حديث صُهَيبٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" عَجَبًا لأمرِ المُؤمِنِ، إنَّ أمرَه كُلَّه خَيرٌ، وليس ذاك لأحَدٍ إلَّا للمُؤمِنِ؛ إن أصابَته سَرَّاءُ[١] شَكَرَ فكان خَيرًا له، وإن أصابَته ضَرَّاءُ[٢] صَبَرَ فكان خَيرًا له ".

وقَولُه ﷺ:" عَجَبًا لأمرِ المُؤمِنِ، إنَّ أمرَه كُلَّه له خَيرٌ". أي: أنَّ الرَّسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أظهَرَ العَجَبَ على وجهِ الاستِحسانِ لأمرِ المُؤمِنِ، أي: لشَأنِه؛ فإنَّ شَأنَه كُلَّه خَيرٌ، وليسَ ذلك لأحَدٍ إلا للمُؤمِنِ.

١- السَّرَّاءُ: الرَّخاءُ. (لسان العرب لابن منظور:٤/٣٦١).
٢- الضَّرَّاءُ: نقيضُ السَّرَّاءِ. يُنظَر: (لسان العرب لابن منظور:٤/٤٨٣).

ثُمَّ فصَّل الرَّسولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ هذا الأمرَ الخَيِّرَ، **فقال:**" **إن أصابَته سَرَّاءُ شَكَر فكان خَيرًا له، وإن أصابَته ضَرَّاءُ صَبرَ فكان خَيرًا له"**. هذه حالُ المُؤمِنِ وكُلِّ إنسانٍ؛ فإنَّه في قَضاءِ اللهِ وقَدَرِه بَينَ أمرَينِ: إمَّا سَرَّاءُ وإمَّا ضَرَّاءُ، والنَّاسُ في هذه الإصابةِ ينقَسِمونَ إلى قِسمَينِ: مُؤمِنٍ، وغيرِ مُؤمِنٍ؛ فالمُؤمِنُ على كُلِّ حالٍ ما قدَّرَ اللهُ له فهو خَيرٌ له، إن أصابَته الضَّرَّاءُ صَبَرَ على أقدارِ اللهِ، وانتَظَرَ الفرَجَ مِنَ اللهِ، واحتَسَبَ الأجرَ على اللهِ، فكان خَيرًا له، فنال بهذا أجرَ الصَّابرينَ.

وإن أصابَته سَرَّاءُ مِن نِعمةٍ دينيَّةٍ كالعِلمِ والعَمَلِ الصَّالحِ، ونِعمةٍ دُنيويَّةٍ كالمالِ والبَنينَ والأهلِ، شَكَرَ اللهَ، وذلك بالقيامِ بطاعةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ. فيشكُرُ اللهَ فيكونُ خَيرًا له، ويكونُ عليه نِعمَتانِ: نِعمةُ الدِّينِ، ونِعمةُ الدُّنيا: نِعمةُ الدُّنيا بالسَّرَّاءِ، ونِعمةُ الدِّينِ بالشُّكرِ، هذه حالُ المُؤمِنِ.

وأمَّا الكافِرُ فهو على شَرٍّ – والعياذُ باللهِ– إن أصابَته الضَّرَّاءُ لم يصبرْ بَل يضجَرُ، ودَعا بالوَيلِ والثُّبورِ، وسَبَّ الدَّهرَ، وسَبَّ الزَّمَنَ.

والحَديثُ فيه الحَثُّ على الصَّبرِ على الضَّرَّاءِ، وأنَّ ذلك مِن خِصالِ المُؤمِنينَ، فإذا رَأيتَ نَفسَكَ عِندَ إصابةِ الضَّرَّاءِ صابرًا مُحتَسِبًا، تَنتَظِرُ الفرَجَ مِنَ اللهِ سُبحانَه وتعالى، وتحتَسِبُ الأجرَ على اللهِ، فذلك عُنوانُ الإيمانِ، وإن رَأيتَ بالعَكسِ فلُمْ نَفسَك، وعَدِّلْ مَسيرَك، وتُبْ إلى اللهِ ".

(شرح رياض الصالحين لابن عثيمين:١/١٩٧–١٩٩ بتصرف).

ثالثًا: **فضل وفوائد الصبر من أقوالِ السَّلفِ والعلُماءِ**

١– ***قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ:*** " **إنَّ أفضَلَ عَيشٍ أدرَكناه بالصَّبرِ، ولو أنَّ الصَّبرَ كان مِنَ الرِّجالِ كان كريمًا** ". (رواه ابنُ أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه:٦).

٢– ***وقال عَليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ:*** " **ألا إنَّ الصَّبرَ مِنَ الإيمانِ بمَنزِلةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ، فإذا قُطِعَ الرَّأسُ باد الجَسَدُ، ثُمَّ رَفَعَ صَوتَه فقال: ألا إنَّه لا إيمانَ لمَن لا صَبرَ له** ". (المصدر السابق:٨).

– ***وقال أيضًا:*** " **الصَّبرُ مَطيَّةٌ لا تكبو[1]، والقناعةُ سَيفٌ لا ينبو[2]**". (أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ٢٩٤).

٣– ***وقال خالدُ بنُ الوليدِ ﷺ:*** " **يا أهلَ الإسلامِ، إنَّ الصَّبرَ عِزٌّ، وإنَّ الفشَلَ عَجزٌ، وإنَّ مَعَ الصَّبرِ النَّصرَ** " **(العقد الفريد لابن عبد ربه:١/ ٩٢).**

٤– ***وقال الحَسَنُ–رحمه اللهُ–:*** " قَطرَتانِ وجُرعتانِ؛ فما جُرعةٌ أحَبَّ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِن جُرعةِ غَيظٍ يكظِمُها عَبدٌ بحِلمٍ يبتغي بذلك وجهَ اللهِ، وجُرعةِ مُصيبةٍ مُوجِعةٍ يصبِرُ عليها عندَ اللهِ، قال: وما قَطرةٌ أحَبَّ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِن قَطرةِ دَمٍ في سَبيلِه، أو قَطرةِ دَمعٍ مِن عَبدٍ ساجِدٍ في جَوفِ اللَّيلِ لا يرى مَكانَه إلَّا اللهُ عَزَّ وجَلَّ ". (شعب الإيمان للبيهقي:١٠/ ٥٤٩).

١ـ كبا يكبو كَبوةً: إذا عَثَر. (لسان العرب لابن منظور:٢١٣/١٥).
٢ـ نبا حَدُّ السَّيفِ: إذا لم يقطَعْ. (لسان العرب لابن منظور:٣٠١/١٥).

٥- ***وقال عَليُّ بنُ الحُسَينِ لابنِه:*** " يا بُنيَّ، اصبِرْ على النَّائبةِ، ولا تَتَعَرَّضْ للحُقوقِ، ولا تُجِبْ أخاك إلى شَيءٍ مَضرَّتُه عَليك أعظَمُ مِن مَنفعَتِه له ".

٦- ***وقال الأحنَفُ -رحمه الله-:*** " مَن لم يصبِرْ على كلمةٍ سَمِعَ كلماتٍ ". (البيان والتبيين للجاحظ:٢/ ٥٠).

٧- **وقال عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزيزِ وهو على المِنبَرِ:** " ما أنعَمَ اللهُ على عَبدٍ نِعمةً فانتَزَعَها منه، فعاضَه مَكانَ ما انتُزِعَ مِنه الصَّبرَ، إلَّا كان ما عَوَّضَه خَيرًا مِمَّا انتَزَعَ مِنه، ثُمَّ قَرَأ: ﴿**إنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر:١٠). (البيهقي في" شعب الإيمان":١٠٠٣٨) (ابن عساكر في" تاريخ دمشق:٤٥/ ٢٣١).

- ***وقال أيضًا:*** " الرِّضا قَليلٌ، والصَّبرُ مُعَوَّلُ المُؤمِنِ ". (الزهد لأحمد بن حنبل:١٦٩٩) (الزهد لهناد بن السري:٣٩٣).

٨- ***وقال إبراهيمَ التَّيميِّ-رحمه الله-:*** " ما مِن عَبدٍ وهَبَ اللهُ له صَبرًا على الأذى، وصَبرًا على البَلاءِ، وصَبرًا على المَصائِبِ، إلَّا وقد أوتيَ أفضَلَ ما أوتيَه أحَدٌ بَعدَ الإيمانِ باللهِ ".

(رواه ابنُ أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه:١٧).

٩- ***وقال الشَّعبيِّ: قال شُرَيحٌ-رحمه الله-:*** " إنِّي لأُصابُ بالمُصيبةِ، فأحمَدُ اللهَ عليها أربَعَ مَرَّاتٍ، أحمَدُ إذ لم يكُنْ أعظَمَ مِنها، وأحمَدُ إذ رَزَقَني الصَّبرَ عليها، وأحمَدُ إذ وفَّقَني للاسترجاعِ لِما أرجو مِنَ الثَّوابِ، وأحمَدُ إذ لم يجعَلْها في ديني ". (سير أعلام النبلاء للذهبي:٤/ ١٠٥).

١٠- ***وقال مَيمونُ بنُ مِهرانَ-رحمه الله-:*** " الصَّبرُ صَبرانِ: الصَّبرُ على المُصيبةِ حَسَنٌ، وأفضَلُ مِن ذلك الصَّبرُ عنِ المَعاصي ". (رواه ابنُ أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه:١٨).

١١- ***وقال زيادُ بنُ عَمرٍو-رحمه الله-:*** " كُلُّنا نَكرَهُ المَوتَ وألَمَ الجِراحِ، ولكِنَّا نتفاضَلُ بالصَّبرِ ".

(رواه ابنُ أبي الدنيا في (الصبر والثواب عليه:٥٠).

١٢- ***وقال زُهَيرُ بنُ نُعَيمٍ-رحمه الله-:*** " إنَّ هذا الأمرَ لا يتِمُّ إلَّا بشَيئَينِ: الصَّبرِ واليقينِ، فإن كان يقينٌ ولم يكُنْ مَعَه صَبرٌ لم يتِمَّ، وإن كان صَبرٌ ولم يكُنْ مَعَه يقينٌ لم يتِمَّ، وقد ضَرَبَ لهما أبو الدَّرداءِ مَثَلًا فقال: مَثَلُ اليقينِ والصَّبرِ مَثَلُ فدَّادَينِ[1] يحفِرانِ الأرضَ، فإذا جَلَسَ واحِدٌ جَلَسَ الآخَرُ ".

(صفة الصفوة لابن الجوزي:٤/ ٨).

١٣- ***وقال أبو عَبدِ الرَّحمَنِ المَغازِليُّ-رحمه الله-:*** " دَخَلتُ على رَجُلٍ مُبتَلًى بالحِجازِ، فقُلتُ: كيف تَجِدُك؟ قال: أجِدُ عافيتَه أكثَرَ مِمَّا ابتَلاني به، وأجِدُ نِعَمَه عَليَّ أكثَرَ مِن أن أُحصيَها! قُلتُ: أتَجِدُ لِما أنت فيه ألَمًا شَديدًا؟ فبَكى ثُمَّ قال: سَلا بنَفسي عن ألَمِ ما بي ما وعَدَ عليه سَيِّدي أهلَ الصَّبرِ مِن كَمالِ الأُجورِ في شِدَّةِ يومٍ عَسيرٍ! قال: ثُمَّ غُشِيَ عليه فمَكَثَ مَليًّا[2]، ثُمَّ أفاقَ، فقال: إنِّي لأحسَبُ أنَّ لأهلِ الصَّبرِ غَدًا في القيامةِ مَقامًا شَريفًا لا يتَقَدَّمُه مِن ثَوابِ الأعمالِ شَيءٌ، إلَّا ما كان مِنَ الرِّضا عنِ اللهِ تعالى ". (رواه ابنُ أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه:١٠٤).

١- الفَدَّادُ: الفلَّاح. (المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده:٩/ ٢٧٨)

٢- المَليُّ: الزَّمانُ الطَّويلُ. (مختار الصحاح للرازي ص: ٢٩٨).

١٤- ***وقال مَيمونَ بنِ مِهرانَ-رحمه الله-:*** " ما نال عَبدٌ شَيئًا مِن جِسمِ الخَيرِ مِن نَبيٍّ أو غَيرِه إلَّا بالصَّبرِ ". (رواه ابنُ حبان في روضة العقلاء ص: ١٦٢).

١٥- ***وقال يحيى بنُ مُعاذٍ-رحمه الله-:*** " حُفَّت الجَنَّةُ بالمَكارِهِ وأنت تكرَهُها، وحُفَّت النَّارُ بالشَّهَواتِ وأنت تطلُبُها، فما أنت إلَّا كالمَريضِ الشَّديدِ الدَّاءِ؛ إن صَبرَ نفسَه على مَضَضِ الدَّواءِ اكتَسَبَ بالصَّبرِ عافيةً، وإن جَزِعَت نفسُه مِمَّا يلقى طالَت به عِلَّةُ الضَّنا ". (صفة الصفوة لابن الجوزي:٤/٩٤).

١٦- ***وقال عُمَرُ بنُ ذَرٍّ-رحمه الله-:*** " من أجمَعَ على الصَّبرِ في الأُمورِ فقد حَوى الخَيرَ، والتَمَسَ مَعاقِلَ البِرِّ وكمالَ الأُجورِ ". (رواه ابنُ أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه:١٦٣) (وأبو نعيم في" حلية الأولياء":٥/١١١).

١٧- **وقال مالِكُ بنُ دينارٍ-رحمه الله-:** " ما مِن أعمالِ البِرِّ عَمَلٌ إلَّا ودونَه عَقَبةٌ؛ فإن صَبرَ صاحِبُها أفضَت به إلى رَوحٍ، وإن جَزِعَ رَجَعَ ". (الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا:٤٣) (حلية الأولياء لأبي نعيم:٢/٣٧١).

١٨- ***قال سُفيانُ الثَّوريُّ فيما أوصى به عَليَّ بنَ الحَسَنِ السُّلميَّ:*** " عَليك بالصَّبرِ في المواطِنِ كُلِّها؛ فإنَّ الصَّبرَ يجُرُّ إلى البِرِّ، والبِرَّ يجُرُّ إلى الجَنَّةِ، وإيَّاك والحِدَّةَ والغَضَبَ؛ فإنَّهما يجُرَّانِ إلى الفُجورِ، والفُجورُ يجُرُّ إلى النَّارِ ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٧/ ٨٣).

١٩- ***وقال شُمَيطُ بنُ عَجلانَ-رحمه الله-:*** " إنَّ العافيةَ سَتَرَت البَرَّ والفاجِرَ، فإذا جاءَت البلايا استَبانَ عندَها الرِّجُلانِ؛ فجاءَت البلايا إلى المُؤمِنِ فأذهَبَت مالَه وخادِمَه ودابَّتَه حتى جاعَ بَعدَ الشِّبَعِ، ومَشى بَعدَ الرُّكوبِ، وخَدَمَ نفسَه بَعدَ أن كان مَخدومًا، فصَبَرَ ورَضيَ بقَضاءِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وقال: هذا نظَرٌ مِن اللهِ عَزَّ وجَلَّ لي، هذا أهونُ لحِسابي غَدًا. وجاءَت البلايا إلى الفاجِرِ فأذهَبَت مالَه وخادِمَه ودابَّتَه، فجَزِعَ وهَلَعَ، وقال: واللهِ ما لي بهذا طاقةٌ، واللهِ لقد عَوَّدتُ نفسي عادةً ما لي عنها صَبرٌ مِن الحُلوِ والحامِضِ، والحارِّ والبارِدِ، ولينِ العَيشِ، فإن هو أصابَه مِن الحَلالِ وإلَّا طَلَبَه مِن الحَرامِ والظُّلمِ؛ ليعودَ إليه ذلك العَيشُ ". (صفة الصفوة لابن الجوزي:٢/ ٢٠٥)

٢٠- ***وقال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ -رحمه الله-:*** " لم يُعطَ العِبادُ أفضَلَ مِنَ الصَّبرِ، به دَخَلوا الجَنَّةَ ".
(الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا:٦٠)، (حلية الأولياء لأبي نعيم:٧/ ٣٠٥).

٢١- ***وكتَبَ القاضي الفاضِلُ إلى السُّلطانِ أثناءَ حِصارِ عَكَّا:*** " واعلَمْ أنَّ مَثوبةَ الصَّبرِ فوقَ مَثوبةِ الشُّكرِ. ومِن رَبطِ جَأشِ عَمَرَ ﷺ قَولُه: لو كان الصَّبرُ والشُّكرُ بَعيرَينِ ما باليتُ أيَّهما رَكِبتُ. وبهذه العَزائِمِ سَبَقونا، وتركونا لا نطمَعُ في اللَّحاقِ بالغُبارِ، وامتَدَّت خُطاهم، ونعوذُ باللهِ مِنَ العِثارِ ".
(الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة:٤/ ١٨٥) (تاريخ الإسلام للذهبي:١٢/٦٩٩).

٢٢- ***وقال السَّمَرقَنديُّ-رحمه الله-:*** " اعلَمْ أنَّ العَبدَ لا يُدرِكُ منزِلةَ الأخيارِ إلَّا بالصَّبرِ على الشِّدَّةِ والأذى، وقد أمر اللهُ تعالى نَبيَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالصَّبرِ، فقال: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ (الأحقاف: ٣٥) (تنبيه الغافلين ص: ٢٤٨).

٢٣- ***وقال الجاحظُ-رحمه الله-:*** " الصَّبرُ صَبرانِ: فأعلاهما أن تَصبرَ على ما تَرجو فيه الغُنمَ في العاقِبةِ. والحِلمُ حِلمانِ: فأشرَفُهما حِلمُك عَمَّن هو دونَك. والصِّدقُ صِدْقانِ: أعظَمُهما صِدقُك فيما يضُرُّك. والوفاءُ وفاءانِ: أسناهما وفاؤُك لمَن لا تَرجوه ولا تَخافُه؛ فإنَّ مَن عُرِف بالصِّدقِ صارَ النَّاسُ له أتباعًا، ومَن نُسِبَ إلى الحِلمِ أُلبِسَ ثَوبَ الوقارِ والهَيبةِ وأُبَّهةَ الجَلالةِ، ومن عُرِفَ بالوفاءِ استَنامَت بالثِّقةِ به الجَماعاتُ، ومَن استَعَزَّ بالصَّبرِ نال جسيماتِ الأُمورِ. ولعَمْري ما غَلِطَت الحُكماءُ حينَ سَمَّتها أركانَ الدِّينِ والدُّنيا ". (الرسائل:١/ ١٢٥).

٢٤- ***وقال ابنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:*** " الصَّبرُ جِماعُ الأمرِ، ونِظامُ الحَزمِ، ودِعامةُ العَقلِ، وبَذرُ الخَيرِ، وحيلةُ مَن لا حيلةَ له ". (روضة العقلاء ص: ١٦١).

٢٥- ***وقال أبو طالبٍ المَكِّيُّ-رحمه الله-:*** " إذا جَمَعَ العالمُ ثَلاثًا تَمَّت النِّعمةُ به على المُتَعَلِّمِ: الصَّبرُ، والتَّواضُعُ، وحُسنُ الخُلُقِ، وإذا جَمَعَ المُتَعَلِّمُ ثَلاثًا تَمَّت النِّعمةُ به على العالِمِ: العَقلُ، والأدَبُ، وحُسنُ الفهمِ" (قوت القلوب لأبي طالب المكي"١/ ٢٥١).

ومن فضل وفوائِدُ الصَّبرِ كذلك:

١- الصَّبرُ به يتَمَكَّنُ الإنسانُ مِن ضَبطِ نَفسِه، وتَحَمُّلِ المَتاعِبِ والمَشَقَّاتِ والآلامِ.

٢- الصَّبرُ به يتَمَكَّنُ الإنسانُ مِن ضَبطِ نَفسِه عنِ الاندِفاعِ بعَوامِلِ الضَّجَرِ والجَزَعِ، والمَلَلِ والرُّعونةِ والطَّيشِ، والخَوفِ والطَّمَعِ، والأهواءِ والشَّهَواتِ

٣- الصَّبرُ يُؤَدِّي إلى وضعِ الأشياءِ في مَواضِعِها والتَّصَرُّفِ بعَقلٍ واتِّزانٍ، وفي الوقتِ المُناسِبِ بالطَّريقةِ المُناسِبةِ.

٤- في الصَّبرِ اقتِداءٌ بالأنبياءِ والمُرسَلينَ، واتِّباعٌ لطَريقِ الصَّالحينَ.

٥- الصَّبرُ مَطيَّةٌ للارتِقاءِ بالنَّفسِ نَحوَ كمالِها ومُعالجةِ آفاتِها.

٦- الصَّبرُ كما أنَّه سَبَبُ الفلاحِ في الآخِرةِ فهو سَبَبُ النَّجاحِ في الدُّنيا، فهو ضَرورةٌ دُنيويَّةٌ كما هو ضَرورةٌ دينيَّةٌ.

٧- الصَّبرُ يُؤَدِّي إلى ضَمانِ النَّصرِ والمَدَدِ. ٨- الصَّبرُ سَبَبٌ للتَّمكينِ في الأرضِ.

٩- الصَّبرُ سَبَبٌ للحِفظِ مِن كيدِ الأعداءِ.

١٠- الصَّبرُ يُؤَهِّلُ لمرتبةِ القيادةِ والإمامةِ، ويوصِلُ إليهما.

١١- الصَّبرُ يُثمِرُ محبَّةَ النَّاسِ. ١٢- الصَّابرونَ ينالونَ مَعيَّةَ اللهِ ومَحَبَّتَه ورَحمَتَه.

١٣- الصَّبرُ عاقِبَتُه الجَنَّةُ ونَيلُ عَظيمِ الأجرِ.

١٤- الصَّبرُ يعصِمُ مِنَ التَّخَبُّطِ ويحفظُ مِنَ اليأسِ والقُنوطِ.

(الأخلاق الإسلامية للميداني:١/٣٠٥) (نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم:٦/ ٢٤٧١)

٣- فضل الصلة والتواصل[١][٢]:

أولًا: فضل الصلة والتواصل من القُرآنِ الكريم:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

قولُه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: امتثِلوا ما أمَرَكم اللَّهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نهاكم عنه؛ فإنَّ تساؤُلَكم به، وتعظيمَكم له سُبحانَه، من الموجِبِ الدَّاعي لتَقْواه؛ حتى إنَّكُم إذا أرَدْتُم قضاءَ حاجاتِكم، توسَّلْتُم بها بالسُّؤالِ باللَّهِ، فيقولُ مَن يريدُ ذلك لغيرِه: أسألُك باللَّهِ أن تفعَلَ كذا؛ لعِلمِه بما قام في قَلبِ الغيرِ من تَعظيمِ اللَّهِ الذي يَمنعُه أنْ يردَّ مَن سأله باللَّهِ؛ فكما عَظَّمتُم اللَّهَ تعالى بذلك فلْتعظِّموه أيضًا بتقواه سُبحانَه. ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ أي: واحْذَروا من أنْ تَقطَعوا أرحامَكم، وتُفَرِّطوا في أداءِ حقِّهم، وكما تتوصَّلونَ بهذه الصِّلَة فيما بينَكم لِعظَمِها من أجْلِ قضاءِ حاجةٍ، أو نَيْلِ مأربٍ، فآتوها حقَّها. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي: إنَّ اللَّهَ تعالى مراقِبٌ لجميعِ أعمالِكم، وحافِظٌ لها، ومِن جُملةِ ذلك ما أمَرَكم به من تقوى ربِّكم، ورِعايةِ حُرمةِ أرحامِكم. (التفسير المحرر- الدرر السَّنية:٣/ ١٥-١٩).

قال البِقاعيُّ-رحمه الله-: " ومِن أعظَمِ مقاصِدِ سُورةِ النِّساءِ... التَّواصُلُ والتَّقاربُ والإحسانُ لا سيَّما لذوي الأرحامِ، والعَدلُ في جميعِ الأقوالِ والأفعالِ ". (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٢٢/ ٣٤٣).

٢- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١).

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من صلةِ الأرحامِ، والإحسانِ إليهم وإلى الفُقَراءِ والمحاويجِ، وبَذلِ المعروفِ ". (تفسير القرآن العظيم:٤/ ٤٥٠).

٣- قَولُه تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)

أي: لا ينهاكم اللَّهُ عن البِرِّ والصِّلةِ، والمكافأةِ بالمعروفِ، والقِسطِ للمُشركين، من أقارِبِكم وغيرِهم؛ حيث كانوا بحالٍ لم ينتَصِبوا لقتالِكم في الدِّينِ والإخراجِ من ديارِكم، فليس عليكم جُناحٌ أن تَصِلوهم؛ فإنَّ صِلَتَهم في هذه الحالةِ لا محذورَ فيها ولا مَفسَدةَ ". (تيسير الكريم الرحمن ص: ٨٥٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ **قال ابنُ عبَّاسٍ-رضي الله عنهما-**: يريدُ بالصِّلةِ وغيرِ ذلك إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ يريدُ أهلَ البِرِّ والتَّواصُلِ ". (التفسير البسيط:٢١/ ٤١٥).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.
٢- توجد رسالة خاصة عن" فضل صلة الرحم" للمؤلف ضمن هذه السلسلة، والله الموفق.

٤- وقال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الروم: ٣٨)

قال الشَّوكانيُّ-رحمه الله-: " أُمِر كُلُّ مُكَلَّفٍ متمَكِّنٍ من صلةِ قرابتِه بأن يعطيَهم حقَّهم، وهو الصِّلةُ التي أمَر اللَّهُ بها. وإن كان الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، فإن كان على وجهِ التَّعريضِ لأمَّتِه فالأمرُ فيه كالأوَّلِ، وإن كان خطابًا له من دونِ تعريضٍ فأمَّتُه أسوتُه، فالأمرُ له ﷺ بإيتاءِ ذي القربى حقَّه أمرٌ لكُلِّ فردٍ من أفرادِ أمَّتِه، والظَّاهِرُ أنَّ هذا الخطابَ ليس خاصًّا بالنَّبيِّ ﷺ، بدليلِ ما قبلَ هذه الآيةِ ". (فتح القدير:٣/ ٢٦٧).

ففي هذه الآيةِ: يأمُرُ اللَّهُ تعالى بإعطاءِ هؤلاء؛ فيقولُ: فأعطِ أيُّها الرَّسولُ ومَن تَبِعَك من أمَّتِك المُؤمنين ذوي القرابةِ حَقَّهم من صلةِ الرَّحِمِ والبِرِّ بهم والإحسانِ إليهم؛ لأنَّهم جزءٌ من رابطةِ الدَّمِ والنَّسَبِ، فكانوا أحَقَّ النَّاسِ بالتَّواصُلِ والتَّزاوُرِ والشَّفَقةِ، وأعطِ الحَقَّ أيضًا للمِسكينِ الذي لا شيءَ له ينفِقُ عليه، أو له شيءٌ لا يقومُ بكفايتِه، ومِثلُه المسافِرُ البعيدُ عن مالِه المحتاجُ إلى نفقةٍ وحوائجِ السَّفَرِ، وسرعةُ المواصلاتِ لا تستأصِلُ حاجةَ هذا المسافِرِ، وإنَّما تُقَلِّلُ من المبلَغِ الماليِّ الذي يحتاجُ إليه ". (التفسير المنير:٢١/ ٩٢).

٥- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقَولُه تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ **قال القُرطبيُّ:** " خَلَقَ اللَّهُ الخَلقَ بَيْنَ الذَّكَرِ والأنثى أنسابًا وأصهارًا، وقبائِلَ وشُعوبًا، وخَلَق لهم منها التَّعارُفَ، وجعل لهم بها التَّواصُلَ". (الجامع لأحكام القرآن:١٦/ ٣٤٢)، فبالتَّعارُفِ يحصُلُ التَّواصُلُ، فيرجِعُ كُلٌّ إلى قبيلتِه، ويعرِفُ قُربَ القرابةِ منه وبُعدَها.

(التدرج في دعوة النبي لإبراهيم بن عبد اللهِ المطلق ص: ١٠٥)

فدلَّت الآيةُ على أنَّ معرفةَ الأنسابِ مطلوبةٌ مشروعةٌ؛ لأنَّ اللَّهَ جعلَهم شعوبًا وقبائِلَ من أجلِ ذلك.

(تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٨٠٢)

ثانياً: فضل الصلة والتواصل من السُّنَّة النَّبَويَّة:

١- أخرج البخاري من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من كان يؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِمْ ضَيفَه، ومن كان يؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَصِلْ رَحِمَه...".

فقولُه ﷺ: " من كان يؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ". فليفعَلْ كذا وكذا، يدُلُّ على أنَّ هذه الخصالَ من خصالِ الإيمانِ. (جامع العلوم والحكم لابن رجب:١/ ٣٣٣).

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ القاطِعَ كأنَّه لم يؤمِنْ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ؛ لعَدَمِ خَوفِه من شِدَّةِ العقوبةِ المترتِّبةِ على القَطيعةِ. (مرقاة المفاتيح للقاري:٧/ ٢٧٣٢).

٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: " من أحبَّ أن يُبسَطَ له في رزقِه، ويُنسأَ له في أثَرِه، فلْيَصِلْ رَحِمَه ".

قوله ﷺ: " يُنسأَ " أي: يُؤخَّر، والأثرُ: الأجَلُ؛ لأنَّه تابعٌ للحياةِ في أثَرِها. وبسطُ الرِّزقِ توسيعُه وكثرتُه، وقيل: البركةُ فيه. (شرح النووي على مسلم:١٦/ ١١٤).

قال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-: " وقد قال بعضُ النَّاسِ: إنَّ المرادَ به البركةُ في العُمُرِ، بأن يعمَلَ في الزَّمَنِ القصيرِ ما لا يعمَلُه غيرُه إلَّا في الكثيرِ، قالوا: لأنَّ الرِّزقَ والأجَلَ مقدَّرانِ مكتوبانِ. فيقال لهؤلاء: تلك البركةُ وهي الزِّيادةُ في العَمَلِ والنَّفعِ هي أيضًا مقدَّرةٌ مكتوبةٌ وتتناوَلُ لجميعِ الأشياءِ. والجوابُ المحَقَّقُ: أنَّ اللهَ يكتُبُ للعَبدِ أجَلًا في صُحُفِ الملائكةِ، فإذا وصل رحِمَه زاد في ذلك المكتوبِ، وإن عَمِلَ ما يوجِبُ النَّقصَ نُقِص من ذلك المكتوبِ، واللهُ سُبحانَه عالِمٌ بما كان وما يكونُ وما لم يكنْ لو كان كيف كان يكونُ؛ فهو يعلَمُ ما كتبه له وما يزيدُه إيَّاه بعدَ ذلك، والملائكةُ لا عِلمَ لهم إلَّا ما عَلَّمَهم اللهُ، واللهُ يعلَمُ الأشياءَ قَبلَ كَونِها وبعدَ كَونِها ". (مجموع الفتاوى:١٤/ ٤٩٠).

وقال في موضعٍ آخَرَ: " الرِّزقُ نوعانِ: أحدُهما: ما عَلِمه اللهُ أنَّه يرزُقُه، فهذا لا يتغَيَّرُ. والثَّاني: ما كتبه وأعلَمُ به الملائكةَ، فهذا يزيدُ ويَنقُصُ بحسَبِ الأسبابِ؛ فإنَّ العبدَ يأمُرُ اللهُ الملائكةَ أن تكتُبَ له رِزقًا، وإن وَصَلَ رَحِمَه زاده اللهُ على ذلك ". (مجموع الفتاوى:٨/ ٥٤٠).

٣- وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائِشةَ-رَضِيَ اللَّهُ عنها- قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: " الرَّحِمُ معَلَّقةٌ بالعَرشِ تقولُ: مَن وصلَني وصلَه اللَّهُ، ومن قطعَني قطعَه اللَّهُ ".

وقوله ﷺ: " من وَصلَني وصلَه اللَّهُ "، أي: بحسنِ رعايتِه وبجميلِ حمايتِه، " ومن قطعَني قطعَه اللَّهُ " أي: عن عينِ عنايتِه، ومن كمالِ رحمتِه ورأفتِه، فالوَصلُ كنايةٌ عن الإقبالِ إليه والقَبولِ منه، والقَطعُ عبارةٌ عن الغضَبِ عليه والإعراضِ عنه ". (مرقاة المفاتيح للقاري:٧/ ٣٠٨٦).

٤- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أيُّوبَ ﷺ: أنَّ رجُلًا قال للنَّبيِّ ﷺ: أخبِرْني بعَمَلٍ يُدخِلُني الجنَّةَ، قال: ما له ما له؟! وقال النَّبيُّ ﷺ: " أَرَبٌ ما له، تعبُدُ اللَّهَ ولا تُشرِكُ به شيئًا، وتقيمُ الصَّلاةَ، وتؤتي الزَّكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ ".

٥- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ميمونةَ بنتِ الحارثِ أمِّ المُؤمِنين- رَضِيَ اللهُ عنها- أنَّها أعتَقَت وليدةً ولم تستأذِنِ النَّبيَّ ﷺ، فلمَّا كان يومُها الذي يدورُ عليها فيه قالت: أشعَرْتَ يا رسولَ اللهِ أنِّي أعتَقْتُ وَليدتي؟ قال: " أوَ فعَلْتِ؟ قالت: نعم، قال: أمَا إنَّكِ لو أعطَيتِها أخوالَكِ كان أعظَمَ لأجْرِك ".

وقد دلَّ هذا الحديثُ على أنَّ صِلةَ الأقاربِ وإغناءَ الفُقَراءِ منهم أفضَلُ من العِتقِ والصَّدَقةِ على الأجانِبِ. (كشف المشكل من حديث الصحيحين:٤/ ٤٣٣).

٦- ***وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سَلمانَ بنِ عامرٍ ﷺ أنَّه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:***
" إنَّ الصَّدقةَ على المِسكينِ صَدَقةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ اثنتانِ: صَدَقةٌ وصِلةٌ ".

(صحيح سنن النسائي:٢٥٨٢) (وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان: ٣٣٤٤).

فالصَّدَقةُ على ذي الرَّحِمِ فيها أجرانِ بخِلافِ الصَّدَقةِ على الأجنبيِّ؛ ففيها أجرٌ واحدٌ، وفيه التَّصريحُ بأنَّ العَمَلَ قد يجمَعُ ثوابَ عمَلينِ لتحصيلِ مقصودِهما به، فلعامِلِه سائِرُ ما ورَد في ثوابِهما بفضلِ اللَّهِ ومنَّتِه"
(فيض القدير للمناوي:٤/ ١٩٣).

قال ابنُ عُثَيمين-رحمه الله-: " يعني: فيها أجرانِ: أجرُ الصَّدقةِ، وأجرُ الصِّلةِ؛ فدَلَّ ذلك على أنَّه يجوزُ للإنسانِ أن يتصدَّقَ على أولادِه عِندَ الحاجةِ، ويتصدَّقَ على زوجتِه، وكذلك الزَّوجةُ تتصدَّقُ على زوجِها، وأنَّ الصَّدقةَ عليهم صَدَقةٌ وصِلةٌ ". (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين:٣/ ١٩٥).

٧- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ*** **أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ! إنَّ لي قرابةً أصِلُهم ويقطعوني، وأحسِنُ إليهم ويُسِيئون إليَّ، وأحلُمُ عنهم ويَجهَلونَ عَلَيَّ، فقال:" لَئِنْ كُنتَ كما قُلتَ فكأنَّما تُسِفُّهمُ المَلَّ، ولا يزالُ معك من اللهِ ظَهيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك ".**

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " هو تشبيهٌ لِما يَلحَقُهم من الإثمِ بما يَلحَقُ آكِلَ الرَّمادِ الحارِّ من الألمِ، ولا شيءَ على هذا المُحسِنِ إليهم، لكِنْ ينالُهم إثمٌ عظيمٌ بتقصيرِهم في حقِّه، وإدخالِهم الأذى عليه. وقيل: معناه أنَّك بالإحسانِ إليهم تُخزيهم، وتحَقِّرُهم في أنفُسِهم؛ لكثرةِ إحسانِك، وقبيحِ فِعلِهم من الخِزيِ والحقارةِ عِندَ أنفُسِهم، كمن يُسَفُّ المَلَّ ". (شرح النووي على مسلم للنووي:١٦/ ١١٥).

فهذا الحديثُ عزاءٌ لكثيرٍ من النَّاسِ ممَّن ابتُلوا بأقاربَ شَرِسينَ، يقابلون الإحسانَ بالإساءةِ، وفيه تشجيعٌ للمُحسِنين على أن يستَمِرُّوا على طريقتِهم المثلى؛ فإنَّ اللَّهَ معهم، وهو مؤيِّدُهم وناصِرُهم ومُثيبُهم.
(قطيعة الرحم لمحمد إبراهيم الحمد ص: ٣٣).

٨- ***وأخرج البخاري من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرِو بنِ العاص-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:*** **" ليس الواصِلُ بالمكافِئِ، ولكِنَّ الواصِلَ الذي إذا قُطِعَت رَحِمُه وصَلَها ".**

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-: " يعني: ليس الواصِلُ رَحِمَه من وصَلَهم مكافأةً لهم على صِلةٍ تقدَّمَت منهم إليه، فكافأهم عليها بصِلةٍ مِثلِها ". (شرح صحيح البخاري لابن بطال:٩/ ٢٠٨).

وقال القَسطَلَّانيُّ-رحمه الله-: " والحاصِلُ ثلاثةٌ: مواصِلٌ، ومكافِئٌ، وقاطِعٌ؛ فالواصِلُ: من يتفضَّلُ ولا يُتفَضَّلُ عليه، والمكافِئُ: الذي لا يزيدُ في الإعطاءِ على ما يأخُذُ، والقاطِعُ: الذي يُتفَضَّلُ عليه ولا يَتفَضَّلُ"
(إرشاد الساري للقسطلاني:٩/ ١٤).

٩- وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عنهما- أنَّ أبا سفيانَ بنَ حَربٍ ﷺ أخبرَه: أنَّ هِرَقلَ أرسل إليه في ركبٍ من قريشٍ، وكانوا تجارًا بالشَّامِ في المدَّةِ التي كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مادَّ[1] فيها أبا سفيانَ وكفَّارَ قُريشٍ، فأتوه وهم بإيلياءَ، فدعاهم في مجلِسِه وحولَه عُظَماءُ الرُّومِ... الحديثَ، وفيه: ماذا يأمُرُكم؟ قلتُ: يقولُ: اعبُدوا اللَّهَ وحدَه ولا تُشرِكوا به شيئًا، واتركوا ما يقولُ آباؤكم، ويأمرُنا بالصَّلاةِ والصِّدقِ، والعَفافِ والصِّلةِ. فقال للتَّرجمانِ: قُلْ له: سألتُك عن نسَبِه فذكَرْتَ أنَّه فيكم ذو نَسَبٍ، فكذلك الرُّسُلُ تُبعَثُ في نَسَبِ قَومِها... وسألتُك بما يأمرُكم، فذكَرْتَ أنَّه يأمرُكم أن تعبُدوا اللَّهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادةِ الأوثانِ، ويأمُرُكم بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعَفافِ، فإن كان ما تقولُ حقًّا فسيملِكُ مَوضِعَ قَدَميَّ هاتينِ ".

قال النَّوويُّ -رحمه الله-: " أمَّا الصِّلةُ فصِلةُ الأرحامِ وكُلِّ ما أمَرَ اللَّهُ به أن يوصَلَ، وذلك بالبِرِّ والإكرامِ وحُسنِ المراعاةِ ". (شرح النووي على مسلم:١٢/ ١٠٦).

قال الكَرمانيُّ -رحمه الله-: " فإن قُلتَ: ما ذكَرَ هِرَقلُ لَفظَ "الصِّلَةِ" التي ذكَرها أبو سفيانَ، فلِمَ ترَكَها؟ قلتُ: لأنَّها داخلةٌ في العفافِ؛ إذ الكَفُّ عن المحارِمِ وخوارِمِ المروءةِ تستلزِمُ الصِّلَةَ ". (الكواكب الدراري:١/ ٥٩).

ثالثًا: فضل الصلة والتواصل من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- *عن السَّائِبِ بنِ مَلكانَ من أهلِ الشَّامِ -وكان قد أدرك الصَّحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهم- قال:* " لمَّا دخل عُمَرُ رضِيَ اللَّهُ عنه الشَّامَ حَمِدَ اللَّهَ تعالى وأثنى عليه، ووَعَظ وذكَّر، وأمَر بالمعروفِ ونهى عن المُنكَرِ، وأمَر بتقوى اللَّهِ وصِلةِ الرَّحِمِ، وصَلاحِ ذاتِ البَينِ ". (شعب الإيمان للبيهقي:١٣/٤٢٦).

- *وقَالَ عُمَرُ ﷺ:* " تَعلَّموا أنسابَكم لتَصِلوا أرحامَكم ". (الزهد لوكيع ص: ٧١٤) (الزهد لهناد بن السري:٢/ ٤٩١).

٢- *ويُروى أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ قال في وصيَّتِه:* " احمِلْ نفسَك في أخيك عِندَ صِرامِه على الصِّلةِ، وعندَ صُدودِه على اللُّطفِ، وعندَ جُحودِه على البَذلِ، وعندَ تباعُدِه على الدُّنُوِّ، وعندَ شِدَّتِه على اللِّينِ، وعندَ جُرمِه على العُذرِ، حتَّى لكأنَّك له عبدٌ، ولا تتَّخِذَنَّ عدوَّ صديقِك صديقًا فتعاديَ صديقَك، وإن أردتَ قطيعةَ أخيك فاستَبقِ له من نفسِك بقيَّةً ترجِعُ إليها إن بدا لك يومًا ما، ولا تُضيعَنَّ حَقَّ أخيك اتِّكالًا على ما بَينَك وبَينَه؛ فإنَّه ليس بأخٍ مَن ضيَّعتَ حَقَّه ". (ربيع الأبرار للزمخشري:١/ ٣٦٣).

٣- *وقال عبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عنهما-:* " إنَّ صلةَ الرَّحِمِ مَنسأةٌ في الأجلِ، مَحبَّةٌ في الأهلِ، مَثراةٌ في المالِ ".

١- مادَّ: أي: جَعَل بينَه وبينَه مدَّةَ صُلحٍ. (فتح الباري لابن حجر:١/ ١٨٦).

٤- *وقَالت عائشةُ -رَضِيَ اللَّهُ عنها-:* " خِلالُ المكارِمِ عَشَرَةٌ تكونُ في الرَّجلِ ولا تكونُ في ولَدِه، وتكونُ في العبدِ ولا تكونُ في سَيِّدِه، يجعَلُها اللَّهُ حيثُ شاء: صِدْقُ الحديثِ، وصِدقُ البأْسِ، والمكافأةُ بالصَّنائعِ، وحفظُ الأمانةِ، وصلةُ الرَّحِمِ، والتَّذَمُّمُ للجارِ، والتَّذَمُّمُ للصَّاحبِ، وإعطاءُ السَّائلِ، وإقراءُ الضَّيفِ، ورأسُهنَّ الحياءُ ". (الزهد لهناد بن السري:٢/ ٤٨٧).

٥- *وسُئِلَ عَمرُو بنُ العاصِ ﷺ عن المروءةِ، فقال:* " تقوى اللَّهِ تعالى وصلةُ الرَّحِمِ ".

(المروءة لابن المرزبان ص: ١٢٧).

٦- *وقال ابنُ عبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عنهما-:* " صِلةُ الرَّحِمِ من أفعالِ الأبرارِ". (التذكرة الحمدونية:٩/ ١٨٢).

- *قال الغَزِّيُّ-رحمه الله-:* " نصَّ على صِلةِ الرَّحِمِ -وإن كانت داخلةً في التَّقوى- لأنَّها كالأصلِ بالنِّسبةِ إلى سائرِ أنواعِ البِرِّ؛ لأنَّ من قصَّر في حَقِّ أرحامِه كان في حقِّ غيرِهم أشَدَّ تقصيرًا، ولأنَّ القرابةَ داعيةٌ إلى حِفظِ الحُقوقِ وحُسنِ الصَّنيعةِ، فإذا لم تكُنِ القرابةُ مُؤثِّرةً ذلك فغيرُها لا يؤثِّرُه ".

(حسن التنبه لما ورد في التشبه:٩/ ٥١٢).

٧- *وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ-رحمه الله-:* " لو أنَّ أقصَرَكم عِلمًا عَمِلَ بما يعلَمُ لدَخَل الجنَّةَ؛ ما منكم إلَّا من يعلَمُ أنَّ الصَّلاةَ خيرٌ مِن تركِها، والأمانةَ خيرٌ من الخيانةِ، والصِّدقَ خيرٌ من الكَذِبِ، والوفاءَ بالعَهدِ خيرٌ مِن نقضِه، والصِّلَةَ خيرٌ من القطيعةِ ". (البصائر والذخائر لأبي حيان:٣/ ١٩).

٨- *وقال سعيدُ بنُ المسيِّبِ-وقد تَرَك دنانيرَ-:* " اللَّهُمَّ إنَّك تعلَمُ أنِّي لم أجمَعْها إلَّا لأصونَ بها ديني وحَسَبي، لا خيرَ فيمن لا يجمَعُ المالَ، فيقضي دينَه، ويَصِلُ رَحِمَه، ويكفُّ به وَجهَه ".

(الآداب الشرعية لابن مُفلِح:٣/ ٢٦٩).

٩- *قال عطاءٌ-رحمه الله-:* " لدِرهَمٌ أضعُه في قرابتي أحبُّ إليَّ من ألفٍ أضعُها في فاقةٍ. قال له قائلٌ: يا أبا محمَّدٍ، وإن كان قرابتي مِثلي في الغنى؟! قال: وإن كان أغنى منك ".

(مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا:٢٤٧)

١٠- *قال عبدُ اللَّهِ بنُ مروانَ-رحمه الله-:* قلتُ لمجاهدٍ: " إنَّ لي قرابةً مُشرِكًا، ولي عليه دَينٌ، أفأترُكه له؟ قال: نعَمْ، وصِلْه ". (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا:٢٤٨)

١١- *وقال جعفَرٌ الصَّادِقُ-رحمه الله-:* " مودَّةُ يومٍ صِلةٌ، ومودَّةُ سَنةٍ رَحِمٌ ماسَّةٌ، من قطَعَها قطعه اللَّهُ عزَّ وجَلَّ ". (آداب العشرة للغزي ص: ٦٢).

١٢- *وقال جعفَرُ بنُ محمَّدٍ-رحمه الله-:* " صلةُ الرَّحِمِ تهوِّنُ الحسابَ يومَ القيامةِ؛ **قال اللَّهُ تعالى:**

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد: ٢١). (التذكرة الحمدونية:١/ ١١١).

١٣- ***وقال الحسَنُ البَصريُّ-رحمه الله-:*** " إنَّ لأهلِ التَّقوى علاماتٍ يُعرَفون بها: صِدقُ الحديثِ، والوفاءُ بالعَهدِ، وصِلةُ الرَّحِمِ، ورَحمةُ الضُّعَفاءِ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٢/١٤٣).

١٤- ***ولمَّا حضَرَت المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفرةَ الوفاةُ قال لولَدِه وأهلِه:*** أوصيكم بتقوى اللَّهِ، وصلةِ الرَّحِمِ؛ فإنَّ تقوى اللَّهِ تُعقِبُ الجنَّةَ، وإنَّ صلةَ الرَّحِمِ تُنسئُ الأجَلَ، وتُثري المالَ، وتجمَعُ الشَّملَ، وتُكثِرُ العَدَدَ، وتَعمُرُ الدِّيارَ، وتُعِزُّ الجانبَ. (لباب الآداب لأسامة بن منقذ:١/ ٢٩).

١٥- ***وقال أبو الوليدِ الباجيُّ ناصِحًا ولَدَيه:*** " عليكم بمواصَلةِ بني أعمامِكما وأهلِ بَيتِكما، والإكرامِ لهم، والمواصَلةِ لكبيرِهم وصغيرِهم، والمشارَكةِ لهم بالمالِ والحالِ، والمثابَرةِ على مهاداتِهم، والمتابعةِ لزيارتِهم، والتَّعاهُدِ لأمورِهم، والبِرِّ لكبيرِهم، والإشفاقِ على صغيرِهم، والحِرصِ على نماءِ مالِ غنيِّهم، والحِفظِ لعَيبِهم، والقيامِ بحوائجِهم دونَ اقتضاءٍ لمجازاةٍ ولا انتظارِ مقارَضةٍ؛ فإنَّ ذلك مما تسودانِ به في عشيرتِكما وتَعظُمانِ به عِندَ أهلِ بيتِكما، وصِلَا رَحِمَكما وإن ضَعُفَ سَبَبُها، وقَرِّبا ما بَعُد منها، واجتَهِدا في القيامِ بحَقِّها، وإيَّاكما والتَّضييعَ لها... وهذا ممَّا يَشرُفُ به ملتَزِمُه ويعظُمُ عِندَ النَّاسِ مُعَظِّمُه، وما عَلِمتُ أهلَ بيتٍ تقاطعوا وتدابَروا إلَّا هلكوا وانقَرَضوا، ولا عَلِمتُ أهلَ بَيتٍ تواصَلوا وتعاطَفوا إلَّا نمُوا وكَثُروا وبورِكَ لهم فيما حاوَلوا ". (النصيحة الولدية ص: ٢٧).

١٦- ***وقال أبو حامدٍ الغَزاليُّ-رحمه الله-:*** " وفي صلةِ الرَّحِمِ من الثَّوابِ ما لا يُحصى؛ **قال عليٌّ** رضي الله عنه: لأن أصِلَ أخًا من إخواني بدِرهَمٍ أحَبُّ إليَّ من أن أتصدَّقَ بعِشرينَ دِرهمًا، ولأن أصِلَه بعشرينَ دِرهمًا أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّقَ بمائةِ دِرهَمٍ، ولأن أصِلَه بمائةِ دِرهَمٍ أحبُّ إليَّ من أن أُعتِقَ رقَبةً ".
(إحياء علوم الدين:١/ ٢٢٠).

١٧- ***وقال حُسَينٌ المهديُّ-رحمه الله-:*** " إنَّ صلةَ القَرابةِ والإحسانَ إليهم من أعظَمِ القُرُباتِ، وأنفَعِ الأعمالِ التي يكونُ بها صلاحُ المجتمَعِ والأسرةِ، ويضاعِفُ اللَّهُ لمن يصِلُ القرابةَ الحَسَناتِ ".
(صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال:٢/ ١٣١).

ومن فضل فوائِدُ الصِّلةِ والتَّواصُلِ كذلك:

١- صِلةُ الرَّحِمِ علامةُ كمالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ.

٢- صِلةُ الرَّحِمِ من أسبابِ دُخولِ الجنَّةِ.

٣- صِلةُ الرَّحِمِ من أسبابِ السَّعةِ في الأرزاقِ والزِّيادةِ في الآجالِ.

٤- صِلةُ الرَّحِمِ ينالُ بها العبدُ رِضا الرَّبِّ ثمَّ محبَّةَ الخَلقِ.

٥- صِلةُ الرَّحِمِ سَبَبٌ لصلةِ اللَّهِ للعبدِ في الدُّنيا والآخرةِ.

٦- التَّواصُلُ والصِّلَةُ من أسبابِ تقويةِ أواصِرِ العَلاقاتِ الاجتماعيَّةِ بَيْنَ أفرادِ الأسرةِ الواحِدةِ والأُسَرِ المرتَبِطةِ بالمصاهَرةِ والنَّسَبِ حتَّى يعمَّ المجتَمَعَ كلَّه. (نضرة النعيم:٧/٢٦٣٢). **وقد ذَكَر السَّمَرقنديُّ -رحمه الله- في صلةِ الرَّحِمِ عَشرَ خِصالٍ محمودةٍ؛ منها:** أنَّ فيها رضا اللهِ تعالى؛ لأنَّه أمَر بصِلةِ الرَّحِمِ. **ومنها:** إدخالُ السُّرورِ عليهم. **ومنها:** أنَّ فيها حُسنَ الثَّناءِ من المُسلِمين عليه. **ومنها:** زيادةٌ في المودَّةِ؛ لأنَّه إذا وقعَ له سَبَبٌ من السُّرُورِ والحُزنِ يجتَمِعون إليه ويُعينونه على ذلك، فيكونُ له زيادةً في المودَّةِ. **ومنها:** زيادةُ الأجرِ بعدَ مَوتِه؛ لأنَّهم يدعونَ له بعدَ موتِه كلَّما ذكَروا إحسانَه.

(تنبيه الغافلين للسمرقندي ص: ١٣٨).

٧- الصِّلَةُ ربَّما جعلَت العَدُوَّ صديقًا. **قال الأصمَعيِّ:** سمعتُ أعرابيًّا يقولُ لأخٍ له:" يا أخي، إنَّ الصَّديقَ يحولُ بالجفاءِ عدوًّا، والعَدُوَّ يحولُ بالصِّلةِ صديقًا، وإنِّي أراك رَطْبَ اللِّسانِ بعيوبِ أصدقائِك، فلا تَزِدْهم في أعدائِك ". (ربيع الأبرار للزمخشري:١/ ٣٨٤). (بهجة المجالس لابن عبد البر:١/٦٨٩).

٨- رِفعةُ الواصِلِ: فإنَّ الإنسانَ إذا وصَل مَن أمَرَ اللَّهُ بوَصلِهم، وحَرَص على إعزازِهم، أكرَموه وأعزُّوه، وأجَلُّوه وسَوَّدوه، وكانوا عونًا له.

٩- عِزَّةُ المتواصِلينَ؛ فالمتواصِلون المتوادُّون المتآلِفون يعلو قَدْرُهم، ويرتفِعُ ذِكرُهم، فيكونُ لهم شأنٌ، ويُحسَبُ لهم ألفُ حِسابٍ، فلا يتجرَّأُ أحدٌ أن يسومَهم خُطَّةَ ضِيقٍ، أو أن يمسَّهم بلفحةٍ من نارِ ظُلمٍ؛ فيَظلُّون بأعَزِّ جوارٍ، وأمنَعِ ذِمارٍ، بخلافِ ما إذا تقاطَعوا وتدابَروا؛ فإنَّهم يَذِلُّون ويُسترذَلون، فيَلقَونَ هَوانًا بعدَ عِزٍّ، وضَعةً بعدَ رِفعةٍ، ونزولًا بعدَ شَمَمٍ. (قطيعة الرحم لمحمد إبراهيم الحمد ص:٣١).

١٠- التَّعارُفُ بَيْنَ النَّاسِ لتبادُلِ المصالحِ والمنافِعِ ممَّا يعودُ نفعُه على الفردِ والمجتمَعِ، **قال تعالى:**

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات: ١٣)

١١- التَّواصُلُ والصِّلَةُ بَيْنَ أفرادِ المجتمَعِ يؤدِّي إلى المساعدةِ لإيجادِ الحلولِ النَّاجعةِ لكثيرٍ من المُشكِلاتِ المعاصرةِ التي تواجِهُ النَّاسَ.

٤- فضل الصمت[١][٢]:

أولًا: فضل الصمت من القُرآنِ الكريم:

١- قَال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨).

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ أي: ابنُ آدَمَ مِنْ قَوْلٍ أي: ما يتكَلَّمُ بكَلِمةٍ ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: إلَّا ولها من يراقِبُها مُعتَدٌّ لذلك يكتُبُها، لا يترُكُ كَلِمةً ولا حَركةً، **كما قال تعالى:** ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار:١٠-١٢) (تفسير القرآن العظيم:٧/٣٩٨).

وقال الشَّوكاني-رحمه الله-:" ما يَتكلَّم مِن كَلامٍ فَيلفِظُه ويرميه مِن فِيه إلَّا على ذلك اللَّافِظِ مَلَكٌ يَرقُبُ قَولَه ويَكتُبُه، مُعَدٌّ للكتابةِ مُهيَّأٌ له ". (فتح القدير:٥/٨٩ بتصرُّفٍ).

٢- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الانفطار: ١٠-١٢) ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾: يَكتُبون أقوالَكم وأعمالَكم. (تفسير البغوي:٥/ ٢٢٠).

٣- وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (الرعد: ٣٣)

فيه حضٌّ على التَّحفُّظِ في المنطِقِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى حفيظٌ عليمٌ رقيبٌ على كُلِّ نَفسٍ منفوسةٍ، يعلَمُ ما يعمَلُ العاملون من خيرٍ وشرٍّ، ولا يخفى عليه خافيةٌ من كلامٍ أو غيرِه. (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٤/ ٤٦٣).

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٩)

أي: كنَّا نستكتِبُ حَفَظتَنا أعمالَكم، فتُثبِتُها في الكتُبِ وتَكتُبُها. (جامع البيان لابن جرير الطبري:٢١/ ١٠٤).

ثانيًا: فضل الصمت من السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

١- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: " من كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو ليَصمُتْ ".

قال ابنُ عبدِ البَرِّ-رحمه الله-:" وفي هذا الحديثِ آدابٌ وسُنَنٌ، منها التَّأكيدُ في لُزومِ الصَّمتِ، وقولُ الخيرِ أفضَلُ من الصَّمتِ؛ لأنَّ قولَ الخيرِ غَنيمةٌ، والسُّكوتَ سلامةٌ، والغنيمةَ أفضَلُ من السَّلامةِ ".

(التمهيد:٢١/٣٥).

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-:" وأمَّا قَولُه ﷺ: " فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصمُتْ" فمعناه: أنَّه إذا أراد أن يتكلَّمَ؛ فإن كان ما يتكلَّمُ به خيرًا محقَّقًا يثابُ عليه واجبًا أو مندوبًا، فلْيتكلَّمْ، وإن لم يظهَرْ له أنَّه خيرٌ يثابُ عليه فليُمسِكْ عن الكلامِ، سواءٌ ظهَر له أنَّه حرامٌ أو مكروهٌ أو مباحٌ مُستوي الطَّرفَينِ؛ فعلى هذا يكونُ الكلامُ المباحُ مأمورًا بتركِه، مندوبًا إلى الإمساكِ عنه؛ مخافةً من انجرارِه إلى المحرَّمِ أو المكروهِ، وهذا يقعُ في العادةِ كثيرًا أو غالبًا ". (شرح النووي على مسلم:٢/١٨).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.
٢- توجد رسالة خاصة عن" فضل الصمت وحفظ اللسان" للمؤلف ضمن هذه السلسلة، والله الموفق.

٢- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبدِ اللهِ بنِ عمرو-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ*** ﷺ: "**مَن صَمَتَ نجا** ". (صحيح سنن الترمذي:٢٥٠١) (وحسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:٦٤٨١)

قال القاريُّ-رحمه الله-: وقوله ﷺ:" **مَن صَمَتَ**": أي: سكَت عن الشَّرِّ." **نجا**": أي: فاز وظَفِر بكلِّ خيرٍ، أو نجا من آفاتِ الدَّارينِ". (مرقاة المفاتيح:٣٠٣٨/٧).

فمن سكَت عن الشَّرِّ فقد خلَص من جهنَّمَ ومن شَرِّ لِسانِه؛ فإنَّ الرَّجُلَ ربَّما يتكلَّمُ بكلامٍ يلحَقُه ضرَرٌ عظيمٌ في الدُّنيا والآخِرةِ. (المفاتيح للمظهري:٥/ ١٨١).

قال الغزاليُّ-رحمه الله-:" من تأمَّل جميعَ آفاتِ اللِّسانِ عَلِم أنَّه إذا أطلق لسانَه لم يسلَمْ، وعند ذلك يعرِفُ سِرَّ قولِه ﷺ:" من صمَت نجا"؛ لأنَّ هذه الآفاتِ كُلَّها مهالِكُ ومعاطِبُ، وهي على طريقِ المتكلِّمِ، فإن سكَت سَلِم من الكُلِّ، وإن نطَق وتكلَّم خاطَر بنفسِه، إلَّا أن يوافِقَه لسانٌ فصيحٌ، وعِلمٌ غزيرٌ، ووَرَعٌ حافظٌ، ومراقَبةٌ لازمةٌ، ويُقَلِّلَ من الكلامِ؛ فعساه يَسلَمُ عِندَ ذلك، وهو مع جميعِ ذلك لا ينفَكُّ عن الخطَرِ، فإن كنتَ لا تقدِرُ على أن تكونَ ممَّن تكلَّم فغَنِم، فكُنْ ممَّن سكت فسَلِم، فالسَّلامةُ إحدى الغنيمتين ".

(إحياء علوم الدين:١٦٢/٣).

٣- ***وأخرج البخاري من حديث سَهلِ بنِ سعدٍ*** ﷺ ***عن رسولِ اللهِ*** ﷺ ***قال:*** " **من يَضمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيه[1] وما بَيْنَ رِجلَيه أضمَنْ له الجنَّةَ** ".

قال ابنُ عبدِ البَرِّ-رحمه الله-:" في هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ أكبَرَ الكبائرِ إنَّما هي من الفَمِ والفَرجِ، وما بَيْنَ اللَّحيَينِ الفَمُ، وما بَيْنَ الرِّجلَينِ الفَرجُ، ومن الفَمِ ما يتولَّدُ من اللِّسانِ وهو كَلِمةُ الكُفرِ، وقَذفُ المحصنَاتِ، وأخذُ أعراضِ المُسلِمين، ومن الفَمِ أيضًا شُربُ الخَمرِ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ ظُلمًا، ومن الفَرجِ الزِّنا واللِّواطُ ". (الاستذكار:٨/ ٥٦٥).

قال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله- في شرحِ هذا الحديثِ:" فالمعنى: من أدَّى الحَقَّ الذي على لسانِه من النُّطقِ بما يجِبُ عليه، أو الصَّمتِ عمَّا لا يَعنيه، ضَمِن له الرَّسولُ ﷺ الجنَّةَ، فإنَّ النُّطقَ باللِّسانِ أصلٌ في حُصولِ كُلِّ مطلوبٍ، فإذا لم ينطِقْ به إلَّا في خيرٍ سَلِم، وقال ابنُ بطَّالٍ: دَلَّ الحديثُ على أنَّ أعظَمَ البلاءِ على المرءِ في الدُّنيا لسانُه وفَرجُه، فمَن وُقِيَ شَرَّهما وُقِي أعظَمَ الشَّرِّ ". (فتح الباري:٣٠٩/١١).

٤- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث معاذِ بنِ جبلٍ*** ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ:" **وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجوهِهم أو على مَناخِرِهم إلَّا حصائدُ ألسنَتِهم؟** ". (صحيح سنن الترمذي:٢٦١٦).

وفي الحديث تحريضٌ على جهادِ النَّفسِ وقَمعِها عن الكلامِ فيما يُؤذيها ويُرديها؛ فإنَّه جعَل أكثَرَ دُخولِ النَّاسِ النَّارَ بسببِ ألسنَتِهم. (شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص: ٧٦).

١- لَحْيَيه: هما العظمانِ في جانبَيِ الفَمِ، مُثنى لَحْيٍ، وهو عظمُ الفَكِّ، والمرادُ بما بَيْنَهما اللِّسانُ. (فتح الباري لابن رجب:٧/ ١٦) (عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني:٢٣/ ٧١).

ثالثاً: فضل الصمت من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- قال ابنُ مسعودٍ ﷺ: " والذي لا إلهَ غيرُه ما على الأرضِ شيءٌ أحوَجُ إلى طولِ سَجنٍ من لسانٍ ". (الأدب لابن أبي شيبة ص: ٢٤٥).

٢- وقال أبو الدَّرداءِ ﷺ: " تعلَّموا الصَّمتَ كما تَعلَّمون الكلامَ؛ فإنَّ الصَّمتَ حِلمٌ عظيمٌ، وكُنْ إلى أن تَسمَعَ أحرَصَ منك إلى أن تتكَلَّمَ، ولا تتكَلَّمْ في شيءٍ لا يَعنيك، ولا تكُنْ مِضحاكًا من غيرِ عَجَبٍ، ولا مشَّاءً إلى غيرِ أرَبٍ ". (رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق:٣٩٧) (ابن عساكر في تاريخ دمشق:١٢٤/٤٧).

٣- وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ: " أفضَلُ العبادةِ الصَّمتُ، وانتِظارُ الفَرَجِ ". (البيان والتبيين للجاحظ:٢٤٥/١).

٤- وقال وُهَيب بن الورد-رحمه الله-: " كان يقالُ: الحِكمةُ عَشَرةُ أجزاءٍ: فتِسعةٌ منها في الصَّمتِ، والعاشِرةُ عُزلةُ النَّاسِ ". (رواه ابنُ أبي الدنيا في الصمت ص: ٦٢) (أبو نعيم في" حلية الأولياء":١٥٣/٨).

٥- وقال أبو عُمَرَ الضَّريرُ-رحمه الله-: سمِعتُ رِياحًا القَيسيَّ يقولُ: قال لي عُتبةُ: يا رياحُ، إن كنتُ كلَّما دعَتْني نفسي إلى الكلامِ تكَلَّمْتُ، فبئسَ النَّاظِرُ أنا! يا رياحُ، إنَّ لها موقِفًا تغتبِطُ فيه بطولِ الصَّمتِ عن الفُضولِ ". (رواه أبو نعيم في" حلية الأولياء":٢٣٢/٦).

٦- وقال الحسَنُ -رحمه الله-: " إملاءُ الخيرِ خيرٌ من الصَّمتِ، والصَّمتُ خيرٌ من إملاءِ الشَّرِّ ". (البيان والتبيين للجاحظ:٧٨/٢).

٧- وقال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ-رحمه الله-: " أفضَلُ الإسلامِ الصَّمتُ حتَّى يسلَمَ النَّاسُ منك ". (الزهد لابن أبي عاصم ص: ٣٣).

٨- قال عبدُ الرَّحمنِ بنُ شُرَيحٍ-رحمه الله-: " لو أنَّ عبدًا اختار لنفسِه، ما اختار أفضَلَ من الصَّمتِ ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٢٦٢).

٩- قال إبراهيمُ بنُ أدهَمَ-رحمه الله-: " رأسُ العبادةِ التَّفكُّرُ والصَّمتُ إلَّا من ذِكرِ اللهِ ". (الحلية لأبي نعيم الأصبهاني:٨/ ١٧).

وقيل له: " إنَّ فُلانًا يتعَلَّمُ النَّحوَ، فقال: هو إلى أن يتعَلَّمَ الصَّمتَ أحوَجُ ". (المصدر السابق:٨/ ١٦).

١٠- سُئِلَ ابنُ المبارَكِ-رحمه الله-: " ما خيرُ ما أُعطِيَ الإنسانُ؟ فقال: غريزةُ عَقلٍ، قيل: فإنْ لم يكُنْ؟ قال: أدبٌ حَسَنٌ، قيل: فإنْ لم يكُنْ؟ قال: أخٌ صالحٌ يستشيرُه، قيل: فإنْ لم يكُنْ؟ قال: صمتٌ طويلٌ، قيل: فإنْ لم يكُنْ؟ قال: موتٌ عاجِلٌ ". (المعجم لابن المقرئ:٣٥٥).

١١- وقال أبو الذَّيَّال-رحمه الله-: " تعلَّمِ الصَّمتَ كما تعلَّمُ الكلامَ، فإن يكُنِ الكلامُ يَهديك فإنَّ الصَّمتَ يَقيك، ألَا في الصَّمتِ خَصلتانِ: تدفَعُ به جَهلَ من هو أجهَلُ منك، وتعلَمُ به مِن عِلمِ مَن هو أعلَمُ منك ". (رواه ابنُ أبي عاصم في الزهد ص: ٥١)

١٢- وقال صَعصَعةُ بنُ صوحانَ-رحمه الله-: " الصَّمتُ حتى يحتاجَ إلى الكلامِ رأسُ المروءةِ ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٢٩٩)

١٣- ***وقال يحيى بنُ أبي كثيرٍ-رحمه الله-:*** " خصلتانِ إذا رأيتَهما في الرَّجُلِ فاعلَمْ أنَّ ما وراءَهما خيرٌ منهما: إذا كان حابسًا للسانِه، يحافِظُ على صلاتِه ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٢٦٤)

١٤- ***وقال المسيب بن واضحٍ-رحمه الله-:*** سمعْتُ الشَّافعيَّ يُوصي شابًّا مِن أصحابِه يقولُ له:" الزَمِ الصَّمتَ إلى أنْ يلزمَك التكلُّمُ؛ فإنَّما أكثرُ مَن يندَمُ إنَّما يندمُ إذا هو نطَق، وقلَّ مَن يندمُ إذا سكَت، واعلَمْ بأنَّ الرجوعَ عن الصَّمتِ إلى الكلامِ أحسنُ مِن الرُّجوعِ عن الكلامِ إلى الصَّمتِ، والعطيةُ بعدَ المنعِ أحسنُ مِن المنعِ بعدَ العطيةِ ". (تاريخ دمشق لابن عساكر:٥١/ ٤١٢).

ومن فضل وفوائدُ الصَّمت كذلك:

١- أنه دليلُ كمالِ الإيمانِ، وحُسنِ الإسلامِ؛ **قال النَّبيُّ ﷺ:** **" المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمون من لسانِه ويَدِه"**
(أخرجه البخاري من حديثِ عبد اللهِ بنِ عمرٍو- رَضِيَ اللهُ عنهما-)

وقوله ﷺ: " **المُسلِمُ**" أي: المُسلِمُ الكامِلُ الجامِعُ لخصالِ الإسلامِ: مَن لم يُؤذِ مُسلِمًا بقولٍ ولا فِعلٍ.
(التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن:٢/ ٤٩١).

٢- السَّلامةُ من العَطَبِ في المالِ والنَّفسِ والعِرضِ.

٣- دليلُ حُسنِ الخُلُقِ وطهارةِ النَّفسِ.

٤- يُثمِرُ محبَّةَ اللهِ، ثمَّ محبَّةَ النَّاسِ. قال بعضُ الصَّالحين: الزَمِ الصَّمتَ يَكسِبْك صفوَ المحبَّةِ، ويأمَنْك سوءَ المغبَّةِ، ويُلبِسْك ثوبَ الوَقارِ، ويَكْفِك مُؤنةَ الاعتذارِ ". (صيد الأفكار لحسين المهدي ص: ٤٩٦).

٥- سببٌ للفوزِ بالجنَّةِ، والنَّجاةِ من النَّارِ.

٦- من أقوى أسبابِ التَّوقيرِ.

٧- دليلٌ على الحكمةِ وكَمالِ العقلِ؛ **قال الحسَنُ البصريُّ:** " كانوا يقولون: إنَّ لسانَ الحكيمِ مِن وراءِ قلبِه، فإذا أراد أن يقولَ يرجِعُ إلى قلبِه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسَك، وإنَّ الجاهِلَ قَلبُه في طَرَفِ لسانِه، لا يرجِعُ إلى القَلبِ، فما أتى على لسانِه تكلَّم به ". (الزهد لعبد الله بن المبارك ص: ١٣١).

وقال سَعدونَ الرَّازيُّ-رحمه الله-: " كنتُ مع حاتِمٍ الأصَمِّ فكان يتكَلَّمُ فقَلَّ كلامُه، فقيل له في ذلك: قد كُنتَ تتكَلَّمُ فتنفَعُ النَّاسَ! فقال: إنِّي لا أحِبُّ أن أتكلَّمَ كَلِمةً قبلَ أن أستَعِدَّ جوابَها للهِ، فإذا قال اللهُ تعالى لي يومَ القيامةِ: لمَ قلتَ كذا؟ قلتُ: يا ربِّ، لكذا ". (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:٩/ ١٥٣).

وقال الحُكَماءُ: " إذا تمَّ العقلُ نَقَص الكلامُ ". (أدب المجالسة لابن عبد البر ص: ٩١).

٨- يجمَعُ للإنسانِ لُبَّه.

٩- الفراغُ للفِكرِ والذِّكرِ والعبادةِ، وقد قيل:" الصَّمتُ هو أوَّلُ العبادةِ ". (الزهد لهناد:٢/ ٥٤٦)

١٠- السَّلامةُ من تَبِعاتِ القولِ في الدُّنيا ومن حسابِه في الآخرةِ؛ قال بعضُ السَّلَفِ:" واستَعِنْ على السَّلامةِ بطولِ الصَّمتِ في المواطِنِ ". (تاريخ دمشق لابن عساكر:٢٧/ ٣٨٨).

وقال ابنُ عبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عنهما-: " يا لِسانُ قُلْ فاغنَمْ، أو اسكُتْ واسلَمْ، قبلَ أن تندَمَ ".
(الصمت لابن أبي الدنيا ص٢٦٦).

وقيل:" الصَّمتُ آيةُ الفضلِ، وثمَرةُ العقلِ، وزَينُ العِلمِ، وعونُ الحِلمِ؛ فالزَمْه تلزَمْك السَّلامةُ ".
(صيد الأفكار لحسين المهدي ص: ٤٩٦)

وقيل لعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ-رحمه الله-: " ما تقولُ في أهلِ صِفِّينَ؟ فقال: تلك دماءٌ طَهَّرَ اللهُ يدي منها، فلا أحِبُّ أن أخضِبَ لِساني بها ". **(العزلة للخطابي ص: ٩٢).**

وأنشَد بعضُهم:

وقُلِ الخَيرَ وإلَّا فاصمُتَنَّ   فإنَّه من لَزِم الصَّمتَ سَلِم.

(التمهيد لابن عبد البر:١٣/ ١٢٧).

١١- يَكسِبُ احترامَ الآخرين، ولا سيَّما عِندَ الجِدالِ والمنازعاتِ.

١٢- يساعِدُ على حُسنِ الإنصاتِ والاستماعِ.

١٣- يَكسِبُ صاحِبَه مهابةً وسكينةً ووقارًا.

١٤- العافيةُ، وأنشدوا في ذلك:

يموتُ الفتى من عَثرةٍ بلِسانِه   وليس يموتُ المرءُ من عَثرةِ الرِّجْلِ
فعَثرتُه من فيه ترمي برأسِه   وعَثرتُه بالرِّجلِ تَبْرى على مَهَلِ

(المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي:٥/ ٧٠) (الرسالة المغنية لابن البناء ص: ٣٤).

١٥- تحصيلُ العِلمِ: **قال أبو الذَّيَّالِ-رحمه الله-:**" بالصَّمتِ تأخُذُ عِلمَ مَن هو أعلَمُ منك ".
(جامع بيان العلم لابن عبد البر:١/ ٥٥٠)

١٦- الاستغناءُ عن الاعتذارِ إلى الآخَرين.

١٧- سَترُ العيوبِ، وقد قيل:

لسانُ المرءِ يُنبِئُ عن حِجاه[١]   وعِيُّ المرءِ يَستُرُه السُّكوتُ.

(عمدة الكتاب للنحاس ص: ٢٩١)

١٨- السَّلامةُ من آفاتِ اللِّسانِ والوقوعِ في الغَلَطِ، وقد قيل:

أنت من الصَّمتِ آمِنُ الزَّلَلِ   ومن كثيرِ الكلامِ في وَجَلِ
لا تَقُلِ القَولَ ثمَّ تُتبِعْه   يا ليتَ ما كنتُ قُلتُ لم أقُلِ

(الرسالة المغنية لابن البناء ص: ٣٣)

١٩- صلاحُ العَمَلِ: **قال يونُسُ بنُ عُبَيدٍ-رحمه الله-:**" ما مِنَ النَّاسِ أحدٌ يكونُ لِسانُه منه على بالٍ إلَّا رأيتُ ذلك صلاحًا في سائرِ أعمالِه ". **(الزهد لابن أبي عاصم ص: ٥٨)**

١- الحِجا: العَقلُ. (مختار الصحاح لزين الدين الرازي ص: ٦٨).

٥- فضل العزم وعلو الهمة[1]:

أولًا: فضل العزم وعلو الهمة مِن القرآنِ الكريم:

العَزمُ على فِعلِ الخيرِ وعَدَمُ التَّردُّدِ، والمسارعةُ لفِعلِ الخيراتِ: من شِيَمِ الصَّالحينَ، والعَزيمةُ هي الدَّافعُ لفِعلِ الخيرِ؛ ولهذا حثَّ اللهُ عليها في كتابِه في غيرِ آيةٍ، ومن ذلك:

١- **قوله تعالى:** ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

قال ابنُ جريرٍ الطَّبَريُّ-رحمه الله-: " قولُه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، يعني: فإذا صحَّ عزمُك بتثبيتِنا إيَّاك وتسديدِنا لك فيما نابك وحزَبَك من أمرِ دينِك ودُنياك، فامضِ لِما أمَرْناك به على ما أمَرْناك به، وافَقَ ذلك آراءَ أصحابِك وما أشاروا به عليك أو خالفَها، وتوكَّلْ فيما تأتي من أمورِك وتدَعُ وتحاوِلُ أو تزاوِلُ، على ربِّك؛ فثِقْ به في كُلِّ ذلك، وارْضَ بقضائِه في جميعِه، دونَ آراءِ سائرِ خَلقِه ومعونتِهم؛ فإنَّ اللهَ يحِبُّ المتوكِّلين، وهم الرَّاضون بقضائِه، والمُستَسلِمون لحُكمِه فيهم، وافَقَ ذلك منهم هَوًى أو خالفَه ".
(جامع البيان:٦/ ١٩١ بتصرُّفٍ).

وقال الجَصَّاصُ-رحمه الله-: " في ذِكرِ العَزيمةِ عَقيبَ المشاورةِ دَلالةٌ على أنَّها صدَرَت عن المشورةِ ".
(أحكام القرآن:٢/٣٣١).

٢- **وقال تعالى:** ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

قال الشَّوكانيُّ-رحمه الله- **في قولِه:**﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي:" ممَّا يجبُ عليكم أن تعزِموا عليه؛ لكونِه عَزمةً من عَزَماتِ اللهِ، التي أوجب عليهم القيامَ بها ". **(فتح القدير:١/٤٦٨) (الكشاف للزمخشري:١/٤٥٠).**

وقال الرَّازيُّ-رحمه الله-:" من صوابِ التَّدبيرِ الذي لا شَكَّ في ظُهورِ الرُّشدِ فيه، وهو ممَّا ينبغي لكُلِّ عاقلٍ أن يَعزِمَ عليه، فتأخُذَ نفسُه لا محالةَ به... ولا يجوزُ ذلك التَّرخُّصُ في تركِه، فما كان من الأمورِ حميدَ العاقبةِ معروفًا بالرُّشدِ والصَّوابِ، فهو من عَزمِ الأمورِ؛ لأنَّه ممَّا لا يجوزُ لعاقِلٍ أن يترخَّصَ في تَركِه ". **(مفاتيح الغيب:٩/٤٥٥).**

٣- **وقال تعالى:** ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ[2]﴾
(لقمان: ١٧)

وقال القُرطبيُّ-رحمه الله-: " إنَّ إقامةَ الصَّلاةِ والأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنكَرِ: من عزمِ الأمورِ، أي: ممَّا عزَمه اللهُ وأمَرَ به. قاله ابنُ جُرَيجٍ، ويحتَمِلُ أن يريدَ: إنَّ ذلك من مكارمِ الأخلاقِ، وعزائمِ أهلِ الحزمِ السَّالكين طريقَ النَّجاةِ ". **(الجامع لأحكام القرآن:١٤/٦٩).**

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.
٢- إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ: قال أبو حيَّانَ الأندلُسيُّ-رحمه الله-:" العَزمُ مصدَرٌ، فاحتَمَل أن يرادَ به المفعولُ، أي: من معزومِ الأمورِ، واحتَمَل أن يرادَ به الفاعِلُ، أي: عازِمِ الأمورِ ". (البحر المحيط:٨/٤١٥).

٤- وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: لَمِن الأمورِ المشكورةِ، والأفعالِ الحميدةِ، التي عليها ثوابٌ جَزيلٌ، وثناءٌ جميلٌ ". (التفسير لابن كثير:٧/٢١٣).

وقال السَّعديُّ-رحمه الله-: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: لمِن الأمورِ التي حثَّ اللهُ عليها وأكَّدَها، وأخبَرَ أنَّه لا يُلَقَّاها إلَّا أهلُ الصَّبرِ والحظوظِ العظيمةِ، ومن الأمورِ التي لا يُوفَّقُ لها إلَّا أولو العزائِمِ والهِمَمِ، وذَوو الألبابِ والبصائِرِ ". (تيسير الكريم الرحمن:١/٧٦٠).

٦- وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

فهذه الآيةُ فيها ثَناءٌ على أصحابِ الهِمَمِ العاليةِ، وفي طليعتِهم الأنبياءُ والمُرسَلونَ، وفي مُقدِّمَتِهم أولو العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ، وعلى رَأسِهم خاتَمُهم مُحَمَّدٌ ﷺ... وقد تَجَلَّت همَّتهمُ العاليةُ في مُثابَرَتِهم وجِهادِهم ودَعوتِهم إلى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، كما أوضَحَه اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ في قِصَصِ الأنبياءِ: كنُوحٍ، وإبراهيمَ، وموسى، وعيسى، ومُحَمَّدٍ صَلَواتُ اللَّهِ وسَلامُه عليهم أجمَعينَ. (علو الهمة لمحمد إسماعيل المقدم ص: ١٢٨).

فأمَرَ تعالى رَسولَه أن يصبرَ على أذيَّةِ المُكذِّبينَ المُعادينَ له، وأن لا يزالَ داعيًا لهم إلى اللَّهِ، وأن يقتَديَ بصَبرِ أولي العَزمِ مِنَ المُرسَلينَ ساداتِ الخَلقِ أولي العَزائِمِ والهِمَمِ العاليةِ ".

(تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٧٨٤).

٧- وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ (التوبة: ٤٢).

قَولُه: ﴿لَوْ كَانَ﴾ أي: ما تَدعو إليه عَرَضًا أي: مَتاعًا دُنيويًّا قَريبًا، أي: سَهلَ التَّناوُلِ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: وَسَطًا عَدلًا مُقارِبًا لَاتَّبَعُوكَ، أي: لأجْلِ رَجاءِ العَرَضِ مَعَ سُهولةِ السَّفَرِ؛ لأنَّ هِمَمَهم قاصِرةٌ ومَنوطةٌ بالحاضِرِ، وَلَكِنْ أي: لم يتَّبِعوك تَثاقُلًا إلى الأرضِ ورِضًا بالفاني الحاضِرِ مِنَ الباقي الغائِبِ؛ لأنَّها ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾، أي: المَسافةُ التي تُطوى بذَرعِ الأرجُلِ بالمسيرِ، فيحصُلُ بها التَّكالُ والمَشَقَّةُ، فلم يوازِ ما يحصُلُ لهم بها مِنَ التَّعَبِ ما يرجونَه مِنَ العَرَضِ، فاستَأذَنوك، وفي هذا إشارةٌ إلى ذَمِّهم بسُفولِ الهِمَمِ ودَناءةِ الشِّيَمِ بالعَجزِ والكَسَلِ والنَّهَمِ والثِّقَلِ، وإلى أنَّ هذا الدِّينَ مَتينٌ لا يحمِلُه إلَّا ماضي الهَمِّ صادِقُ العَزمِ **كما قال الشَّاعِرُ:**

إذا هَمَّ ألقى بَينَ عَينَيه عَزمَه وأعرَضَ عن ذِكرِ العَواقِبِ جانِبَا
فللَّهِ دَرُّ أولي العَزائِمِ، والصَّبرِ على الشَّدائِدِ والمَغارِمِ

(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٨/ ٤٨٠).

٥- وقال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (محمد: ٢١).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾، قال مجاهِدٌ:" إذا جَدَّ الأمرُ". (جامع البيان لابن جرير:١٧٦/٢٢). أي: جَدَّ القتالُ ووجَب وفُرِض، وأُسنِد العَزمُ إلى الأمرِ، وهو لأصحابِه. (فتح القدير للشوكاني:٥/ ٤٦).. ومعناه: فإذا عَزَم صاحبُ الأمرِ. (مفاتيح الغيب:٥٣/٢٨)

وقولُه: ﴿صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمِلُ أن يريدَ صِدقَ اللِّسانِ، أو صِدقَ العَزمِ والنِّيَّةِ، وهو أظهَرُ ". (التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي:٢/ ٢٨٣).

ثانياً: فضل العزم وعلو الهمة من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

١- *أخرج البخاري ومسلم من حديث أبى هُرَيرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:* " لا يقولَنَّ أحَدُكم: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي إنْ شِئتَ، اللَّهُمَّ ارحَمْني إن شِئتَ. لِيَعزِمْ في الدُّعاءِ؛ فإنَّ اللهَ صانِعٌ ما شاء، لا مُكرِهَ له"

٢- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنسٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* " إذا دعا أحَدُكم فلْيَعزِمِ المسألَةَ[1] ".

قال النَّوويُّ -رحمه الله-: " عَزمُ المسألةِ: الشِّدَّةُ في طَلَبِها، والحَزمُ من غيرِ ضَعفٍ في الطَّلَبِ ولا تعليقٍ على مشيئةٍ ونحوِها ". (شرح النووي على مسلم: ٧/ ١٧).

وقال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-: " ومعنى الأمرِ بالعَزمِ: الجِدُّ فيه، وأن يجزِمَ بوقوعِ مَطلوبِه، ولا يُعَلِّقَ ذلك بمشيئةِ اللهِ تعالى، وإن كان مأمورًا في جميعِ ما يريدُ فِعلَه أن يُعَلِّقَه بمشيئةِ اللهِ تعالى، وقيل: معنى العَزمِ: أن يحسِنَ الظَّنَّ باللهِ في الإجابةِ... وقال الدَّاوديُّ: معنى قَولِه: لِيَعزِمِ المسألةَ، أن يجتَهِدَ ويُلِحَّ، ولا يَقُلْ: إن شِئتَ، كالمُستثني، ولكِنْ دعاءَ البائِسِ الفقيرِ ". (فتح الباري شرح صحيح البخاري:١٤٠/١١).

وقال بدرُ الدِّينِ العَينيُّ-رحمه الله-: " قولُه: فلْيَعزِمِ المسألةَ، أي: فلْيَقطَعْ بالسُّؤالِ، ولا يُعَلِّقْ بالمشيئةِ؛ إذ في التَّعليقِ صورةُ الاستغناءِ عن المطلوبِ منه والمطلوبِ ". (عمدة القاري:٢٩٩/٢٢).

٣- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* " المُؤمِنُ القَويُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ من المُؤمِنِ الضَّعيفِ ".

الإشارةُ بالقوَّةِ هاهنا إلى العَزمِ والحَزمِ والاحتياطِ. (كشف المشكل لابن الجوزي:٣/ ٥٥٢).

٤- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشةَ-رَضِيَ اللهُ عنها- أنَّها قالت:* " كان أحَبَّ العمَلِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ الذي يدومُ عليه صاحِبُه ".

وفي الحديث: أنَّ يسيرَ العمَلِ الذي يدومُ عليه صاحبُه أفضَلُ من الكثيرِ الذي يُفعَلُ مرَّةً أو مرَّتينِ، ثمَّ يَترُكُه ويَترُكُ العَزمَ عليه، والعَزمُ على العَمَلِ الصَّالحِ يُثابُ عليه. (المنتقى لأبي الوليد الباجي:٢/ ١٨٣).

١- فلْيَعزِمِ المسألةَ أي: ليُنفِذْها ويُمضِها. (مشكلات الموطأ للبطليوسي ص: ٩٦).

٥- وأخرج البخاري ومسلم من حديث حَكيمِ بنِ حِزامٍ ﷺ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال:" اليَدُ العُليا خَيرٌ مِنَ اليدِ السُّفلى، وابدَأ بمَن تعولُ، وخَيرُ الصَّدَقةِ عن ظَهرِ غِنًى، ومَن يستَعفِفْ يُعِفَّه اللَّهُ، ومَن يستَغنِ يُغنِه اللَّهُ ".

قال ابنُ بَطَّالٍ-رحمه الله-:" فيه ندبٌ إلى التَّعَفُّفِ عنِ المَسألةِ، وحَضٌّ على مَعالي الأُمورِ، وتَركِ دَنيئِها، واللَّهُ يُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ ". (شرح صحيح البخاري لابن بطال:٣/٤٣١).

٦- وأخرج البخاري من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا سَألتُمُ اللَّهَ فسَلوه الفِردَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجَنَّةِ، وأعلى الجَنَّةِ، وفوقَه عَرشُ الرَّحمَنِ، ومِنه تَفجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ ".

ففي هذا الحَديثِ حَثَّ النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَه على طَلَبِ مَعالي الدَّرَجاتِ مِنَ الجَنَّةِ في دُعائِهم، وألَّا يكتَفوا بالدُّونِ مِن ذلك؛ فقد أرشَدَهم إلى هذا تَعليمًا للأُمَّةِ وتَعظيمًا للهِمَّةِ. (تحفة الأحوذي للمباركفوري:٧/ ٢٠١).

ثالثًا: فضل العزم وعلو الهمة من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ وغَيرِهم:

١- رُوِيَ عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ أنَّه قال:" لا تَصغُرَنَّ هِمَّتُكم؛ فإنِّي لَم أرَ أقعَدَ عنِ المَكرُماتِ مَن صِغَرِ الهِمَمِ ". (أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ٣١٩).

- وقال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ أيضًا:" ما رَأيتُ صَغيرَ الهِمَّةِ إلَّا رَأيتُه مَذمومَ الأُحدوثةِ ".

(البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي:٨/ ٢٠٥).

٢- وقال مالِكٌ-رحمه الله-:" عليك بمَعالي الأُمورِ وكرائِمِها، واتَّقِ رَذائِلَها وما سَفَّ مِنها؛ فإنَّ اللَّهَ تعالى يُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ، ويَكرَهُ سَفسافَها ". (ترتيب المدارك للقاضي عياض:٢/٦٥).

٣- وقال دكينُ الرَّاجِزِ-رحمه الله-:" أتَيتُ عُمَرَ بنَ عَبدِ العَزيزِ بَعدَ ما استُخلِفَ أستَنجِزُ منه وعدًا كان وعَدَنيه وهو والي المَدينةِ، فقال لي: يا دكينُ، إنَّ لي نَفسًا تَوَّاقةً[1] لم تَزَلْ تَتوقُ إلى الإمارةِ، فلمَّا نِلتُها تاقَت إلى الخِلافةِ، فلَمَّا نِلتُها تاقَت إلى الجَنَّةِ! ". (رواه ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار:١/٣٣٤).

٤- وقال يزيدُ الرَّقاشيُّ-رحمه الله-:" للأبرارِ هِمَمٌ تُبَلِّغُهم أعمالَ البرِّ، وكفاك بهِمَّةٍ دَعَتْك إلى خَيرٍ خَيرًا!

(حلية الأولياء لأبي نعيم:٣/ ٥١).

٥- وقال جَعفَرٌ الخلديُّ -رحمه الله- لرَجُلٍ:" كُنْ شَريفَ الهِمَّةِ؛ فإنَّ الهِمَمَ تَبلُغُ بالرِّجالِ لا المُجاهَداتِ ".

(تاريخ بغداد للخطيب:٨/ ١٤٩) (صفة الصفوة لابن الجوزي:١/ ٥٤٧).

٦- وقال أبو عَبدِ اللهِ الأنطاكيُّ -رحمه الله-:" بقُوَّةِ العَزمِ يُقهَرُ الهوى ". (الحلية لأبي نعيم الأصبهاني:٩/ ٢٨٩).

٧- وقال ابنُ المقفَّعِ -رحمه الله-:" أمارةُ صِحَّةِ العَقلِ: اختيارُ الأمورِ بالبَصَرِ، وتنفيذُ البَصَرِ بالعَزمِ ".

(الأدب الصغير ص: ٢١).

١ـ توَّاقةٌ: من تاق إلى الشَّيءِ تَوقًا وتوُوقًا، أي: اشتاق، فهو تائِقٌ وتوَّاقٌ. (شمس العلوم لنشوان الحميري:٢/٧٨٣).

- ***وقال أيضًا:*** " طالِبُ الفَضلِ بغيرِ بَصَرٍ تائهٌ حَيرانُ، ومُبصِرُ الفَضلِ بغيرِ عَزمٍ ذو زَمانةٍ محرومٌ ". **(الأدب الصغير ص: ٢٧).**

٨- ***وقال ابنُ الجَوزيِّ -رحمه الله-:*** " للَّهِ أقوامٌ ما رَضُوا مِنَ الفضائِلِ إلَّا بتَحصيلِ جَميعِها، فهم يُبالِغونَ في كُلِّ عِلمٍ، ويجتَهِدونَ في كُلِّ عَمَلٍ، ويُثابِرونَ على كُلِّ فضيلةٍ، فإذا ضَعُفت أبدانُهم عن بَعضِ ذلك قامَتِ النِّيَّاتُ نائِبةً وهم لها سابقونَ، وأكمَلُ أحوالِهم إعراضُهم عن أعمالِهم؛ فهم يحتَقِرونَها مَعَ التَّمامِ، ويعتَذِرونَ مِنَ التَّقصيرِ. ومِنهم مَن يزيدُ على هذا فيتَشاغَلُ بالشُّكرِ على التَّوفيقِ لذلك، ومِنهم مَن لا يرى ما عَمِلَ أصلًا؛ لأنَّه يرى نَفسَه وعَمَلَه لسَيِّدِه! وبالعَكسِ مِنَ المَذكورِ مِن أرباب الاجتِهادِ حالُ أهلِ الكسَلِ والشَّرَه والشَّهَواتِ؛ فلَئِنِ التَذُّوا بعاجِلِ الرَّاحةِ لقد أوجَبَت ما يزيدُ على كُلِّ تَعَبٍ مِنَ الأسَفِ والحَسرةِ... ولقد تَأمَّلتُ نَيلَ الدُّرِّ مِنَ البَحرِ فرَأيتُه بَعدَ مُعاناةِ الشَّدائِدِ ". **(صيد الخاطر ص:٢٨).**

- ***وقال ابنُ الجَوزيِّ أيضًا:*** " مِن عَلامةِ كَمالِ العَقلِ عُلوُّ الهِمَّةِ، والرَّاضي بالدُّونِ دَنيٌّ ". **(المصدر السابق).**

- ***وقال ابنُ الجوزيِّ أيضًا:*** " ليس في سِياطِ التَّأديبِ أجوَدُ من سَوطِ العَزمِ ". **(المصدر السابق ص:٦٧).**

٩- ***وقال فَخرُ الدِّينِ الرَّازيُّ-رحمه الله-:*** " لا بُدَّ في الإمامةِ والنُّبوَّةِ من قوَّةِ العَزمِ، والصَّبرِ على ضُروبِ المحنةِ؛ حتَّى يؤدِّيَ عن اللهِ أمرَه ونَهيَه، ولا تأخُذَه في الدِّينِ لَومةُ لائمٍ، وسَطوةُ جَبَّارٍ ". **(مفاتيح الغيب:٤٩/٤).**

١٠- ***وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-:*** " فمَن عَلَت هِمَّتُه، وخَشَعَت نَفسُه، اتَّصَف بكُلِّ خُلُقٍ جَميلٍ. ومَن دَنَت هِمَّتُه، وطَغَت نَفسُه، اتَّصَف بكُلِّ خُلُقٍ رَذيلٍ ". **(الفوائد ص ٩٧).**

- ***وقال أيضًا:*** " الهِمَّةُ العَلِيَّةُ لا تَزالُ حائِمةً حَولَ ثَلاثةِ أشياءَ: تَعَرُّفٌ لصِفةٍ مِنَ الصِّفاتِ العُليا تَزدادُ بمَعرِفتِها مَحَبَّةً وإرادةً، ومُلاحَظةٌ لمِنَّةٍ تَزدادُ بمُلاحَظَتِها شُكرًا أو إطاعةً، وتَذَكُّرٌ لذَنبٍ تَزدادُ بتَذَكُّرِه تَوبةً وخَشيةً، فإذا تَعَلَّقَت الهِمَّةُ بسِوى هذه الثَّلاثةِ جالَت[1] في أوديةِ الوساوِسِ والخَطَراتِ، مَن عَشِقَ الدُّنيا نَظَرَت إلى قدرِها عِندَه، فصَيَّرَته مِن خَدَمِها وعَبيدِها وأذَلَّتْه، ومَن أعرَضَ عنها نَظَرَت إلى كِبَرِ قَدرِه فخَدَمَته وذَلَّت له. إنَّما يُقطَعُ السَّفَرُ ويصِلُ المُسافِرُ بلُزومِ الجادَّةِ، وسَيرِ اللَّيلِ، فإذا حادَ المُسافِرُ عنِ الطَّريقِ، ونامَ اللَّيلَ كُلَّه، فمَتى يصِلُ إلى مَقصَدِه؟! ". **(المصدر السابق ص ٩٩).**

- ***وقال أيضًا:*** " العِلمُ والعَمَلُ تَوأمانِ أُمُّهما عُلوُّ الهِمَّةِ ". **(بدائع الفوائد ص ٧٤٧).**

- ***وقال أيضًا:*** " لا تَكونُ الرُّوحُ الصَّافيةُ إلَّا في بَدَنٍ مُعتَدِلٍ، ولا الهِمَّةُ العاليةُ إلَّا في نَفسٍ نَفيسةٍ ". **(المصدر السابق ص: ٧٥٠).**

١- جالت: جال يجولُ جولةً: إذا دار. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٣١٧/١).

- ***وقال أيضًا:*** " إذا طلَعَ نَجمُ الهمَّةِ في ظَلامِ لَيلِ البَطالةِ ورَدِفَه قَمَرُ العَزيمةِ، أشرَقَت أرضُ القَلبِ بنورِ رَبِّها. إذا جَنَّ اللَّيلُ تُغالبُ النَّومَ والسَّهَرَ، فالخَوفُ والشَّوقُ في مُقدَّمِ عَسكَرِ اليقَظةِ، والكَسَلُ والتَّواني في كتيبةِ الغَفلةِ، فإذا حَمَلَ العَزمُ حَمَلَ على المَيمَنةِ وانهَزَمَت جُنودُ التَّفريطِ، فما يطلُعُ الفَجرُ إلَّا وقد قُسِمَتِ السُّهمانُ وبَرِدَتِ الغَنيمةُ لأهلِها ". (الفوائد لابن القيم ص: ٥١).

١١- ***وقال مُحَمَّد الخَضِر حُسَين -رحمه الله-:*** " كُلُّ ساعةٍ قابلةٌ لأن تضَعَ فيها حَجَرًا يزدادُ به صَرْحُ مَجْدِك ارتفاعًا، ويَقطَعُ به قومُك في السَّعادةِ باعًا أو ذِراعًا، فإنْ كُنتَ حريصًا على أن يكونَ لك المجدُ الأسمى، ولقَومِك السَّعادةُ العُظمى، فدَعِ الرَّاحةَ جانبًا، واجعَلْ بَينَك وبَينَ اللَّهوِ حاجبًا ".

(موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين: ٥/ ١/ ١٦١).

ومن فضل وفوائدُ العَزمِ والعَزيمةِ وعُلُوِّ الهِمَّة كذلك:

١- **قوَّةُ العَزمِ والعَزيمةِ من وسائِلِ تهذيبِ النَّفسِ، وتحصيلِ الأخلاقِ الفاضلةِ:** قال ابنُ قُدامةَ: " وأشَدُّ حاجةِ الرَّائِضِ لنَفسِه قوَّةُ العَزمِ؛ فمتى كان متردِّدًا بَعُدَ فلاحُه، ومتى أحسَّ من نفسِه ضَعفَ العَزمِ تصبَّرَ، فإذا نقَصَت عزيمتُها عاقَبَها لئَلَّا تعودَ ". (مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ص: ٢٠١).

ومن صفاتِ المُؤمِنِ القويِّ قُوَّةُ العَزمِ على الأمرِ.

٢- **قوَّةُ العَزمِ والعَزيمةِ تُعينُ على تحقيقِ التَّقوى:** وذلك بحَملِ النَّفسِ على فِعلِ المأموراتِ وتَركِ المنهيَّاتِ، وهذه هي حقيقةُ التَّقوى؛ **قال تعالى:** ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

٣- **العَزمُ والعَزيمةُ من وسائلِ التَّخلُّصِ من تلبيسِ الشَّيطانِ ووَسوستِه:** لأنَّه إذا كانت مُهمَّةُ الشَّيطانِ هي الوَسوسةَ، ومَقصَدُه منها: التَّشكيكُ والذَّبذَبةُ والتَّردُّدُ، فإنَّ عموماتِ التَّكليفِ تُلزِمُ المُسلِمَ بالعَزمِ واليقينِ والمضيِّ دونَ تردُّدٍ، **كما في قولِه تعالى:** ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وامتَدَح بعضَ الرُّسُلِ بالعَزمِ، وأمرَ بالاقتداءِ بهم، **فقال تعالى:** ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥)... فمِن هذا كُلِّه كانت دوافِعُ العَزيمةِ مُستقاةً من التَّكاليفِ؛ ممَّا يقضي على نوازِعِ الشَّكِّ والتَّردُّدِ، ولم يَبْقَ في قَلبِ المُؤمِنِ مجالٌ لشَكٍّ ولا محَلٌّ لوَسوَسةٍ.

(تكملة أضواء البيان لعطية سالم: ٩/ ١٨٩).

٤- **قوَّةُ العَزمِ والعَزيمةِ من علاماتِ التَّوفيقِ: قال ابنُ القَيِّمِ -رحمه الله-:** " الدِّينُ مدارُه على أصلينِ: العَزمِ، والثَّباتِ. وأصلُ الشُّكرِ: صِحَّةُ العَزيمةِ، وأصلُ الصَّبرِ قُوَّةُ الثَّباتِ، فمتى أيِّدَ العبدُ بعزيمةٍ وثباتٍ فقد أُيِّدَ بالمعونةِ والتَّوفيقِ ". (عدة الصابرين: ١/ ٩٠ بتصرُّف).

٥- **قوَّةُ العَزمِ والعَزيمةِ والهِمَّةُ العاليةُ تحَصِّلُ للمرءِ كُلَّ مَقامٍ شَريفٍ ومنزلةٍ رفيعةٍ: قال ابنُ القَيِّمِ - رحمه الله-:** " فإنَّ كمالَ العبدِ بالعَزيمةِ والثَّباتِ، فمَن لم يكُنْ له عزيمةٌ فهو ناقصٌ، ومَن كانت له عزيمةٌ ولكِنْ لا ثباتَ له عليها فهو ناقِصٌ، فإذا انضمَّ الثَّباتُ إلى العَزيمةِ أثمر كُلَّ مقامٍ شريفٍ وحالٍ كاملٍ، ومعلومٌ أنَّ شجَرةَ الثَّباتِ والعَزيمةِ لا تقومُ إلَّا على ساقِ الصَّبرِ ". **(طريق الهجرتين:١/٤٠٠ بتصرُّفٍ).**

٦- صاحِبُ العَزمِ والعَزيمةِ القويَّةِ الصَّادِقةِ والهِمَّةِ العاليةِ أكثَرُ النَّاسِ صَبرًا على البلاءِ.

٧- الامتثالُ لأمرِ اللهِ تعالى بالاقتداءِ بالأنبياءِ والرُّسُلِ؛ **قال تعالى:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ **(الأنعام: ٩٠)**، ومن ذلك الاقتداءُ بهم في قوَّةِ العَزمِ.

٨- الثَّباتُ والجَلَدُ؛ **قال عنترةُ بنُ شَدَّادٍ:**

فقُلْتُ لها: سَلِي الأبطالَ عني ... إذا ما فَـرَّ مُرتاعُ القِـراعِ

سَلِيهم يُخبِـروك بـأنَّ عـزمي ... أقام برَبعِ أعداك النَّواعي

(ديوان عنترة بن شداد ص: ٥٤).

٩- تحقيقُ المعالي؛ **قال الشَّاعِرُ:**

فـلا تحسَبــوا أنَّ المعـالي رخيصـةٌ ... ولا أنَّ إدراكَ العُـلا هَـيِّنٌ سَهـلُ

فما كُلُّ من يسعى إلى المجدِ مُدرِكًا ... ولا كُلُّ من يهوى العُلا نفسُه تعلو

(ديوان ابن أبي حصينة ص: ١٧٧).

وقال آخَرُ:

سأمتَلِكُ المعالي بالعوالي ... وأشحَذُ غَربَ عَزمي واجتِهادي

(يتيمة الدهر للثعالبي:٥/ ١٥٢)

١٠- إنجازُ الأعمالِ الضَّخمةِ الجليلةِ، ذكَرَ عُبَيدُ اللهِ بنُ أحمدَ السمسارُ، وغيرُه: أنَّ أبا جعفَرِ بنَ جريرٍ الطَّبَريَّ قال لأصحابِه: هل تَنْشَطون لتاريخِ العالَمِ من آدَمَ إلى وقتِنا، قالوا: كم قَدْرُه؟ فذكَر نحوَ ثلاثين ألفَ وَرَقةٍ، قالوا: هذا ممَّا تفنى الأعمارُ قَبلَ تمامِه، فقال: إنَّا للهِ! ماتت الهِمَمُ! فأملاه في نحوِ ثلاثةِ آلافِ وَرَقةٍ! ". **(طبقات الشافعيين لابن كثير ص: ٢٢٥).**

١١- حصولُ خَيرَيِ الدُّنيا والآخِرةِ.

٦- فضل العِفَّة [١]:

أولًا: فضل العِفَّة من القرآنِ الكريم:

١ – قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣٠، ٣١)

٢ – وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٣٣)

أي: ليَطلُبِ العِفَّةَ عن الحرامِ والزِّنا الذين لا يجِدون ما لا يَنكِحون به للصَّداقِ والنَّفَقةِ ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: يوسِّعَ عليهم من رِزقِه ". (معالم التنزيل للبغوي:٦/٤١).

٣ – وقال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٠).

وقولُه: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ أي: وتَركُ وَضعِهنَّ لثيابهنَّ –وإن كان جائزًا– خيرٌ وأفضلُ لهنَّ، ﴿واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾. (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٦/٨٤).

٤ – وقولُه تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٦)

أي: مَن كان في غنيةٍ عن مالِ اليتيمِ فليستعفِفْ عنه، ولا يأكُلْ منه شيئًا. **قال الشَّعبيُّ –رحمه الله–:** هو عليه كالمَيتةِ والدَّمِ ". (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٢/٢١٦).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

٥- وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

﴿يحسَبُهم الْجَاهِلُ بحالِهم أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: من تعَفُّفِهم عن السُّؤالِ وقناعتِهم يظنُّ مَن لا يعرفُ حالَهم أنَّهم أغنياءُ، والتَّعفُّفُ: التَّفعُّلُ من العِفَّةِ وهي التَّركُ، يقالُ: عَفَّ عن الشَّيءِ: إذا كَفَّ عنه، وتعفَّف: إذا تكلَّف في الإمساكِ. تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ السِّيماءُ والسِّيمياءُ والسِّمةُ: العلامةُ التي يُعرَفُ بها الشَّيءُ، واختلفوا في معناها هاهنا؛ فقال مجاهدٌ: هي التَّخَشُّعُ والتَّواضُعُ، وقال السُّدِّيُّ: أثَرُ الجَهدِ من الحاجةِ والفقرِ، وقال الضَّحَّاكُ: صُفرةُ ألوانِهم من الجوعِ والضُّرِّ، وقيل: رثاثةُ ثيابِهم، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ***قال عطاءٌ-رحمه الله-:*** " إذا كان عندهم غَداءٌ لا يسألون عَشاءً، وإذا كان عندهم عشاءٌ لا يسألون غَداءً، وقيل: معناه لا يسألون النَّاسَ إلحافًا أصلًا؛ لأنَّه قال: من التَّعففِ، والتَّعَفُّفُ: تركُ السُّؤالِ ".

(معالم التنزيل للبغوي:١/٣٣٨).

ثانياً: فضل العِفَّة من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة:

١- ***أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هُريرةَ ﷺ أنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:*** **" ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونُهم: المجاهِدُ في سبيلِ اللهِ، والمكاتَبُ الذي يريدُ الأداءَ، والنَّاكِحُ الذي يريدُ العفافَ[1] ".**

(صحيح سنن الترمذي:١٦٥٥).

قال الطِّيبيُّ-رحمه الله-: " إنَّما آثَرَ هذه الصِّيغةَ إيذانًا بأنَّ هذه الأمورَ من الأمورِ الشَّاقَّةِ التي تفدَحُ الإنسانَ وتقصِمُ ظهرَه، لولا أنَّ اللهَ تعالى يعينُه عليها لا يقومُ بها، وأصعبُها العفافُ؛ لأنَّه قمعُ الشَّهوةِ الجِبِلِّيَّةِ المركوزةِ فيه، وهي مقتضى البهيميَّةِ النَّازلةِ في أسفلِ السَّافِلين، فإذا استعفَّ وتداركه عونُ اللهِ تعالى ترقَّى إلى منزلةِ الملائكةِ وأعلى عِلِّيِّين ".

(تحفة الأحوذي للمباركفوري:٥/٢٩٦). (الكاشف عن حقائق السنن للطيبي:٧/ ٢٢٦٢).

٢- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ أنَّه قال:*** **إنَّ ناسًا من الأنصارِ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ، فأعطاهم، ثمَّ سألوه فأعطاهم. حتَّى إذا نفِدَ ما عنده قال:" ما يكُنْ عندي من خيرٍ فلن أدَّخِرَه عنكم. ومن يستعفِفْ يُعِفَّه اللهُ، ومن يستغْنِ يُغنِه اللهُ. ومن يصبِرْ يُصبِّرْه اللهُ، وما أعطيَ أحدٌ من عطاءٍ خيرٍ وأوسَعَ من الصَّبرِ ".**

قال ابنُ عبدِ البَرِّ-رحمه الله-: " فيه الحضُّ على التَّعفُّفِ والاستغناءِ باللهِ عن عبادِه، والتَّصبُّرِ، وأنَّ ذلك أفضلُ ما أعطِيَه الإنسانُ، وفي هذا كلِّه نهيٌ عن السُّؤالِ، وأمرٌ بالقناعةِ والصَّبرِ ".

(التمهيد لابن عبد البر:١٠/١٣٣).

١- يريدُ العفافَ: أي: العِفَّةَ من الزِّنا.

٣- *وأخرج الإمام أحمد أبو داود والنسائي واللفظ له من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال:* " سرَّحَتْني [١] أمِّي إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأتيتُه وقعدتُ فاستقبلني وقال: من استغنى أغناه اللهُ عزَّ وجلَّ، ومن استعفَّ أعفَّه اللهُ عزَّ وجلَّ، ومن استكفى كفاه اللهُ عزَّ وجلَّ، ومن سأل وله قيمةُ أُوقيَّةٍ فقد ألحفَ. فقلتُ: ناقتي الياقوتةُ خيرٌ من أوقيَّةٍ، فرجَعْتُ ولم أسألْه ".

(صحيح سنن النسائي:٢٥٩٥) (وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:١٦٢٨)

٤- *وأخرج الإمام مسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقولُ:* " اللَّهمَّ إني أسألُك الهدى والتُّقى، والعفافَ والغِنى ".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " أمَّا العَفافُ والعِفَّةُ فهو التَّنزُّهُ عمَّا لا يباحُ، والكفُّ عنه، والغنى هنا غنى النَّفسِ، والاستغناءُ عن النَّاسِ وعمَّا في أيديهم ". (شرح صحيح مسلم:١٧/٤١).

٥- *وأخرج البخاري من حديث عُبَيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عنهما- أخبره، قال:* " أخبرني أبو سفيانَ أنَّ هِرَقلَ قال له: سألتُك ماذا يأمرُكم؟ فزعَمْتَ أنَّه أمركم بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعفافِ، والوفاءِ بالعهدِ وأداءِ الأمانةِ، قال: وهذه صفةُ نبيٍّ ".

قال الكرمانيُّ-رحمه الله-: " والعَفافُ" بفتحِ العينِ: الكفُّ عن الحرامِ وخوارِمِ المروءةِ ".

(الكواكب الدراري:١/ ٥٧).

ثالثًا: فضل العِفَّة من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- *قال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ:* " المروءةُ مروءتانِ: مروءةٌ ظاهرةٌ، ومروءةٌ باطنةٌ؛ فالمروءةُ الظَّاهرةُ الرِّياشُ، والمروءةُ الباطنةُ العفافُ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:٢/١٥٠).

٢- *وقال عثمانُ ﷺ وهو على المنبرِ:* " لا تُكلِّفوا الأمَةَ غيرَ ذاتِ الصَّنعةِ الكَسبَ؛ فإنَّكم متى كلَّفتُموها ذلك كسَبَتْ بفَرجِها، ولا تُكَلِّفوا الصَّغيرَ الكَسبَ؛ فإنَّه إذا لم يجِدْ يسرِقْ، وعِفُّوا إذا أعفَّكم اللهُ، وعليكم من المطاعِمِ بما طاب منها ".

(رواه مالك والطحاوي في" شرح مشكل الآثار"، والبيهقي وصحَّح إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج" شرح مشكل الآثار).

٣- *وقال عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عنهما-:* " نحن- معشَرَ قُرَيشٍ- نَعُدُّ الحِلمَ والجُودَ السُّؤدُدَ، ونَعُدُّ العَفافَ وإصلاحَ المالِ المروءةَ ". (الآداب الشرعية لابن مُفلِح:٢/٢١٥).

٤- *وقَدِم وفدٌ على معاويةَ فقال لهم:* " ما تَعُدُّون المروءةَ؟ قالوا: العفافَ وإصلاحَ المعيشةِ، قال: اسمعْ يا يزيدُ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:٢/١٥٠).

٥- *وقال محمَّدُ بنُ الحنَفيَّةِ-رحمه الله-:* " الكمالُ في ثلاثةٍ: العِفَّةُ في الدِّينِ، والصَّبرُ على النَّوائبِ، وحُسنُ التَّدبيرِ في المعيشةِ ". (رواه أبو بكر الدينوري في" المجالسة وجواهر العلم").

١- السَّرْحُ: الإرسالُ. يقال: سَرَّح إليه رسولًا: أي: أرسلَه. (تاج العروس للزبيدي:٦/٤٦٣).

٦- ***وقال عُمَرُ بْنُ عبدِ العزيزِ-رحمه الله-:*** " خمسٌ إذا أخطأ القاضي منهنَّ خَصلةً كانت فيه وَصمةً: أن يكونَ فَهِمًا[١] حليمًا عفيفًا صليبًا[٢]، عالمًا سؤولًا عن العِلمِ ".

(رواه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم ورواه موصولًا ابن سعد في" الطبقات الكبرى").

٧- ***وقال أيُّوبُ السَّختيانيُّ-رحمه الله-:*** " لا يَنبُلُ الرَّجُلُ حتَّى يكونَ فيه خصلتانِ: العِفَّةُ عن أموالِ النَّاسِ، والتَّجاوُزُ عمَّا يكونُ منهم ". **(مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا)**

٨- ***وقال الحسنُ البَصريُّ-رحمه الله-:*** " لا يزالُ الرَّجُلُ كريمًا على النَّاسِ حتَّى يطمَعَ في دينارِهم، فإذا فعَلَ ذلك استخفُّوا به، وكَرِهوا حديثَه وأبغضوه ". **(منتهى السؤل لعبد الله عبادي اللحجي:٣/٢٩٣).**

٩- ***وقال شُعبةُ-رحمه الله-:*** " سمعتُ حبيبًا التَّميميَّ يقولُ: **سأل معاويةُ رجلًا من عبدِ القيسِ، فقال معاويةُ: ما تعدُّونَ المروءةَ فيكم؟ قال: الحِرفةُ، والعِفَّةُ** ". **(أخرجه البيهقي في" السنن الكبرى:١٠/ ٣٢٩)**

١٠- ***قال ابنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:*** " أي: يَعِفُّ عمَّا حرَّم اللهُ، ويحترِفُ فيما أحلَّ اللهُ ".

(روضة العقلاء ص: ٢٣١).

١١- ***وقال الجُنيد-رحمه الله-:*** سمِعتُ السَّريَّ يقولُ:" أربعُ خصالٍ ترفَعُ العبدَ: العلمُ، والأدبُ، والعِفَّةُ، والأمانةُ ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:١٠/ ١٢٠).**

١٢- ***ولمَّا حضرَت عبدَ اللهِ بنَ شدَّادٍ الوفاةُ دعا ابنَه محمَّدًا فقال له:*** " يا بُنيَّ، أرى داعيَ الموتِ لا يُقلِعُ، ومن مضى منَّا لا يرجِعُ، ومن بقيَ فإليه ينزِعُ، وليس أحدٌ عليه بممتَنِعٍ، وإني أوصيك يا بُنيَّ بوصيَّةٍ فاحفَظْها: عليك بتقوى اللهِ العظيمِ... وليَكُنْ إخوانُك وأهلُ بطانتِك أُولي الدِّينِ والعفافِ، والمروءاتِ والأخلاقِ الجميلةِ؛ فإني رأيتُ إخوانَ المرءِ يَدَه التي يبطِشُ بها، ولسانَه الذي يصولُ به، وجناحَه الذي ينهضُ به؛ فاصحَبْ هؤلاء تجِدْهم إخوانًا، وعلى الخيرِ أعوانًا ". **(لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص: ٢٢-٢٧).**

١٣- ***أوصى عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ ابنًا له، فقال:*** " أي بُنيَّ، احلُمْ؛ فإنَّ مَن حَلُم ساد، ومن تفهَّم ازدادَ، وحُسنُ التَّدبيرِ مع الكفافِ خيرٌ من الكثيرِ مع الإسرافِ، واليأسُ خيرٌ من الطَّلَبِ إلى النَّاسِ. والعِفَّةُ مع الحِرفةِ خيرٌ من الغنى مع الفُجورِ. ارفُقْ في الطَّلَبِ، وأجمِلْ في المكسَبِ؛ فإنَّه رُبَّ طلبٍ قد جرَّ إلى حربٍ ". **(البيان والتبيين للجاحظ:٣/ ٣٠٦).**

١٤- ***اجتمَع عامرُ بنُ الظَّرِبِ العُدوانيُّ وحُمَمةُ بنُ رافعٍ الدَّوسيُّ عندَ مَلِكٍ من ملوكِ حِميَرٍ، فقال:*** تساءلا حتى أسمعَ ما تقولان، قال: قال عامرٌ لحُمَمةَ: مَن أنعَمُ النَّاسِ عَيشًا؟ قال: من تحلَّى بالعَفافِ، ورضِيَ بالكَفافِ، وتجاوَزَ ما يخافُ إلى ما لا يخافُ ". **(الأمالي لأبي علي القالي:٢/ ٢٧٦).**

١- فَهِمًا: من صِيَغ المبالغة، ويجوزُ تسكينُ الهاءِ أيضًا. (فتح الباري لابن حجر:١٣/١٤٩).
٢- صليبًا: من الصَّلابةِ بوَزنِ عظيمٍ، أي: قويًّا شديدًا يَقِفُ عِندَ الحَقِّ ولا يميلُ مع الهوى، ويستخلِصُ حقَّ المحقِّ من المبطِلِ ولا يتهاوَنُ فيه ولا يُحاميه. يُنظَر: (فتح الباري لابن حجر:١٣/١٤٩)

١٥- ***وقال الأحنفُ بنُ قيسٍ-رحمه الله-:*** " لا يتِمُّ أمرُ السُّلطانِ إلَّا بالوُزراءِ والأعوانِ، ولا ينفعُ الوُزراءُ والأعوانُ إلَّا بالمودَّةِ والنَّصيحةِ، ولا تنفعُ المودَّةُ والنَّصيحةُ إلَّا بالرَّأيِ والعِفَّة ".

(تاريخ دمشق لابن عساكر:٢٤/ ٣٤٧) (سير أعلام النبلاء للذهبي:٤/ ٩٥).

١٦- ***وقال الشَّافعيُّ-رحمه الله-:*** " الفضائلُ أربعٌ: إحداها: الحِكمةُ، وقِوامُها الفِكرةُ. والثَّانيةُ: العِفَّةُ، وقِوامُها الشَّهوةُ. والثَّالثةُ: القُوَّةُ، وقِوامُها الغضَبُ. والرَّابعةُ: العَدلُ، وقِوامُه في اعتدالِ قوى النَّفسِ ".

(إحياء علوم الدين للغزالي:٤/٤٢٥).

١٧- ***وقال ابنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:*** " أعظمُ المصائبِ: سوءُ الخلُقِ، والمسألةُ من النَّاسِ، والهمُّ بالسُّؤالِ نِصفُ الهَرَمِ، فكيف المباشَرةُ بالسُّؤالِ، ومن عزَّت عليه نفسُه صَغُرت الدُّنيا في عينيه، ولا يَنبُلُ الرَّجُلُ حتَّى يَعِفَّ عمَّا في أيدي النَّاسِ، ويتجاوَزَ عمَّا يكونُ منهم، والسُّؤالُ من الإخوانِ مِلالٌ، ومن غيرِهم ضِدُّ النَّوالِ ". **(روضة العقلاء ص: ١٤٦).**

١٨- ***وقال ابنُ الجوزيِّ-رحمه الله-:*** " لقد غفَل طلَّابُ الدُّنيا عن اللَّذَّةِ فيها، وما اللَّذَّةُ فيها إلَّا شرفُ العِلمِ، وزَهرةُ العِفَّةِ، وأنَفةُ الحَميَّةِ، وعِزُّ القناعةِ، وحلاوةُ الإفضالِ على الخَلقِ ". **(صيد الخاطر ص: ٢٧٩).**

١٩- ***وقال محمَّدٌ الغزاليُّ-رحمه الله-:*** " الحقُّ أنَّ كِفلًا ضخمًا مِن تصدُّعِ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ يرجِعُ إلى ضياعِ العِفَّةِ وشُيوعِ الملَذَّاتِ، وقد حذَّر رسولُ اللهِ ﷺ أمَّتَه من هذا الانحلالِ النَّفسيِّ ".

(خلق المسلم ص: ١٥١).

ومن فضل العِفَّة وفوائِدُ العِفَّة كذلك:

١- سلامةُ المجتمَعِ من الفواحِشِ وانتهاكِ الأعراضِ: فالمجتمَعُ الذي يتَّصِفُ بالعِفَّةِ يكونُ بعيدًا من الفواحِشِ والرَّذائلِ، وتُصانُ فيه الأعراضُ.

٢- أنَّ العفيفَ من السَّبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه. **ففي الحديث:**"... **ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخافُ اللهَ** " **(رواه مطوَّلًا البخاري ومسلم من حديثِ أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه).**

٣- العِفَّةُ سببٌ للنَّجاةِ من الابتلاءاتِ والمضائِقِ: فقد جاء في قصَّةِ أصحابِ الغارِ الذين انطبقت عليهم الصَّخرةُ أنَّ أحَدَهم توسَّل إلى اللهِ بقولِه:"... اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنَّه كان لي ابنةُ عَمٍّ من أحبِّ النَّاسِ إليَّ، وأنِّي راودتُها عن نفسِها فأبَت إلَّا أن آتيَها بمائةِ دينارٍ؛ فطلَبْتُها حتَّى قدَرْتُ، فأتيتُها بها فدفَعْتُها إليها، فأمكنَتْني من نفسِها، فلمَّا قعدْتُ بينَ رِجلَيها فقالت: اتَّقِ اللهَ، ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحَقِّه[1]، فقُمتُ وتركتُ المائةَ دينارٍ، فإن كنتَ تعلَمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خَشيتِك ففَرِّجْ عنَّا؛ ففرَّجَ اللهُ عنهم فخَرَجوا ". **(رواه مطوَّلًا البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عنهما-).**

١- بحقِّه: أرادت به الحلال، أي: لا أُحِلُّ لك أن تقرَبَني إلَّا بتزويجٍ صحيحٍ. (فتح الباري لابن حجر:٦/٥٠٩).

٤- **إعانةُ اللهِ لمن أراد العَفافَ:** إنَّ اللهَ سُبحانه وتعالى تكفَّل بمقتضى وَعدِه بإعانةِ مَن يريدُ النِّكاحَ حتَّى يَعِفَّ؛ **وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هُريرةَ ﷺ أنه قال: قال** رسولُ اللهِ ﷺ:" **ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونُهم: المجاهِدُ في سبيلِ اللهِ، والمكاتَبُ الذي يريدُ الأداءَ، والنَّاكِحُ الذي يريدُ العفافَ** ". (صحيح سنن النسائي:٣٢١٨).

٥- سلامةُ المرءِ من الوقوعِ في المحرَّماتِ.

٦- **صيانةُ المروءةِ: قال أعرابيٌّ:**" صُنْ عقلَك بالحِلمِ، ومروءتَك بالعفافِ، ونجدتَك بمجانبةِ الخُيَلاءِ، وخلَّتَك بالإجمالِ في الطَّلَبِ ". (الأمالي لأبي علي القالي:٢/ ٢٩) (لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص: ١٩).

٧- وقايةٌ للمجتَمعاتِ من انتشارِ الأمراضِ الفَّتاكةِ نتيجةَ ارتكابِ الفواحِشِ.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك